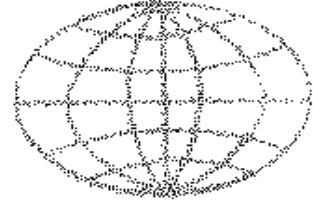
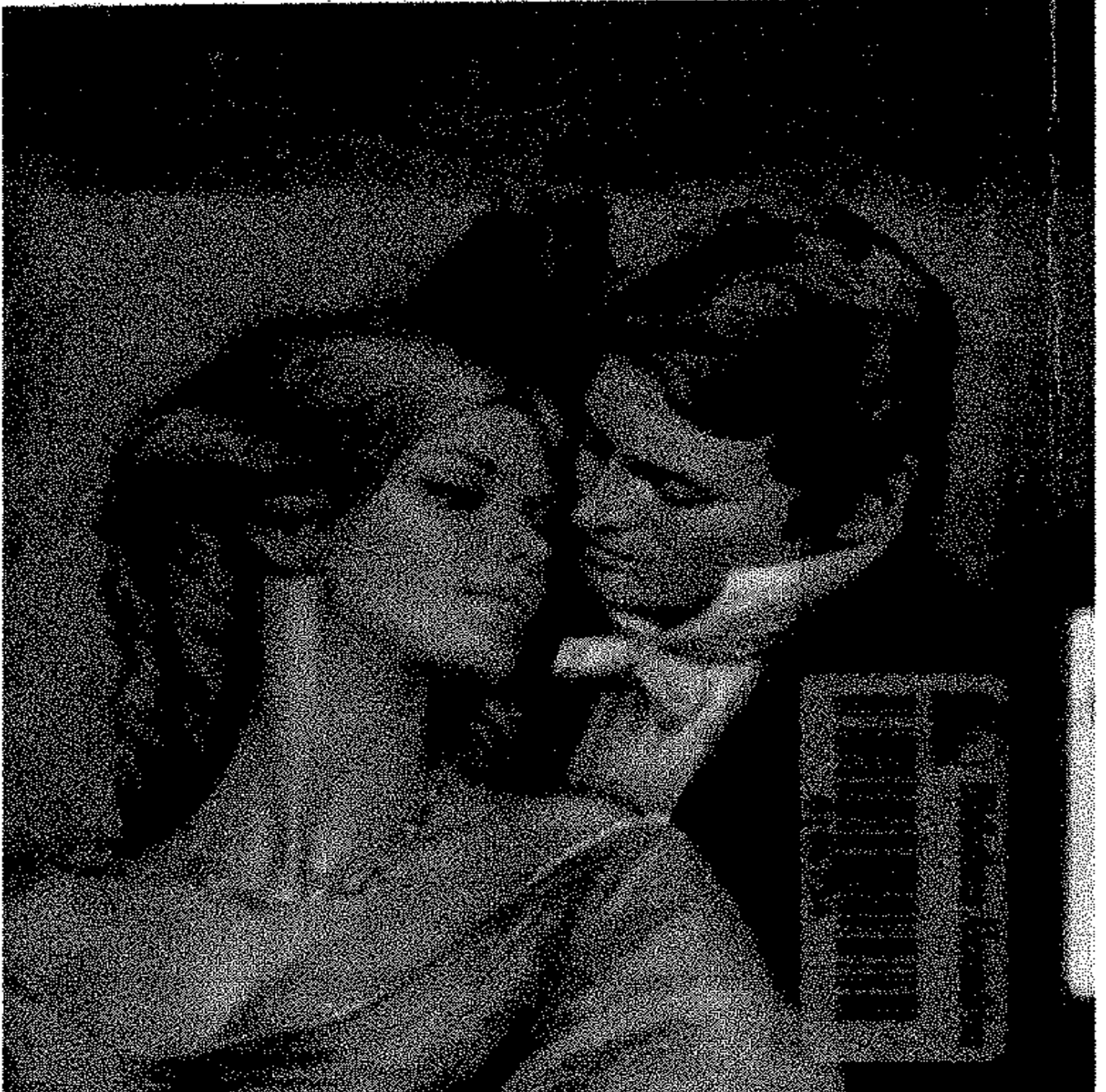


كُنْتُ جَاسُوسًا

سُورِسْت مُؤَمَّ



المؤسسة العالمية للجميع



کنت ہما سوہا

المركز العالمي للجميع

كُنْتُ جَاسُوسًا

سُورِسْت مُوم

ترجمة
د. ابراهيم ايسكندر

الهيئة العامة لمكتبة الأنسكندرية
رقم التصنيف: ٣٠٠٣
رقم التسجيل: ٣٩٤٩١

منشورات

المكتبة الحديثة - بيروت

دار الشرف العربي - بيروت

مؤلف الرواية

وليم سومرست موم ، الكاتب الروائي المعاصر ، اشتهر بكثرة انتاجه ، وانتشار مؤلفاته التي لا يقل عددها عن ستين مؤلفا مابين روايات مسرحية ، وقصص ، وكتبه سياسية . ويمتاز بأنه كاتب واقعي ، يستمد قصصه من الحياة ، ومن ملاحظاته للناس في أسفاره العديدة . وهو يكره الحواشي والادصاف ، ويعتمد الى الوقائع مباشرة ، يمزج الحقيقة بالخيال ، مزج كاتب خبير بفن القصص ، عليم بطبائع النفوس ، ميل الى السخرية

ولد سنة ١٨٧٤ وتعلم في « مدرسة الملك » بكانتربري ورحل في نشأته الى باريس فتعلم اللغة الفرنسية وأتقنها ، ثم عاد يدرس في إنجلترا ، وبعدئذ انتقل الى جامعة هيدلبرج بألمانيا ، ثم سافر الى ايطاليا وتعلم اللغة الإيطالية بمدينة فلورنس . وهكذا جمع في سني شبابه محصولا وافرا من المعارف والمعلومات وأتقن عدة لغات . وقد ألف اول رواية بعنوان « ليزا أوف لبيت » وهو في الثالثة والعشرين من عمره ، واستمد موضوعها من ملاحظاته وهو طالب طب يتدرب في أحد المستشفيات بلندن ، حيث عرف الفقر ووقف على ظروف الفقراء

ومع انه درس الطب ، لم تجذبه مهنة الطب ، كما لم تمجبه مهنة المحاماة من قبل ، ومال الى الادب وحده ، خصوصا بعد أن نجحت روايته الاولى نجاحا رائعا ، وعدت من بدائع القصص الواقعي . وكان ابوه وجده محامين ، وقد وصل أخوه اللورد موم الى منصب وزير مالية بريطانيا ، ولكن وليم سومرست آثر الادب على كل منصب ، وكل مهنة أخرى

وبعد نجاح روايته الاولى شرع يؤلف للمسرح ، غير أن مديري المسارح رفضوا رواياته الهزلية التي قلدها ، حتى كاد ييأس من

النجاح في هذا المجال ، واذا بهزلية تدعى « اللادى فردريك » يقبلها احد المسارح فتنجح نجاحا منقطع النظير . وتدور حوادثها حول شاب وقع في غرام حسناء اكبر منه سنا . ثم تلتها هزليات اخرى ، فيها نقد للمجتمع وقد نجحت كلها كذلك

وعندما نشبت الحرب الاولى عام ١٩١٤ دخل الخدمة الطبية العسكرية في فرنسا ثم نقل الى قلم المخابرات البريطانية في انجلترا وقد تأثرت صحته من العمل المتواصل فسافر الى جزر الجنوب مارا بأمريكا ، ووجد في تلك الجزر الهدوء الذى ينشده ، وعاد بملاحظات وذكريات اعانته في تأليف روايته « القمر وستة بنسات » ولكنه اوفد قبل ان يتم هذه الرواية في بعثة دبلوماسية الى روسيا . وهناك عاوده المرض ، ورجع الى انجلترا مريضا ببلات الرئة ، فدخل مصححا امضى فيه عدة اشهر حتى عوفي من داءه . وسرعان ما حفزه حب السفر الى ان يبحر الى الصين ، وقد عاد منها برواية جديدة وهكذا ظل على سفر دائم ، يستمد منه موضوعات لقصص .. ينشرها بالمجلات الانجليزية والامريكية او يؤلف منها كتباً وروايات وقبل نشوب الحرب العظمى الاخيرة كان قد استقر في « فيللا » سماها « بورسك » عند رأس فرات بالقرب من مدينة نيس . ولكن الالمان احتلوا فرنسا في عام ١٩٤٠ فاضطر الى الفرار في باخرة فحم حتى وصل الى انجلترا ، ثم لجأ الى أمريكا حيث استقر في مزرعة بولاية كارولينا الجنوبية . وهناك عاد الى تأليف الكتب والروايات والقصص . وقد اقبل الامريكيون على رواياته يخرجون منها افلاما ، فلقبت هذه الافلام نجاحا عظيما حيثما عرضت في أمريكا وغيرها من البلدان

رحمة

شخصيات الرواية

- ◆ **اشندن Ashenden** : اسم الجاسوس الانجليزي الروائي الطبيب ، وهو اسم مستعار للمؤلف نفسه
- ◆ **سومرفيل Somerville** : اسم مستعار له في احدى مقامراته بمدينة لوسرن في سويسرا
- ◆ **كايبور Caypor** : صحفي انجليزي خان بلاده وعمل جاسوسا للامان في سويسرا ، وزوجته المانية ..
- ◆ **جوستاف Gustav** : اسم سرى لوزع تجاري سويسري يعمل في خدمة المخابرات الانجليزية ، واسمه الحقيقي جراباو Grabow
- ◆ **شندرالال Chondra Lal** : من احرار الهند العاملين على القضاء على الاستعمار الانجليزي في الهند
- ◆ **جوليا لازاري Guiller Lazari** : عشيقة شاندرالال الإيطالية التي تحترف الرقص الاسباني الشعبي تحت اسم مالاجويانا Malaguena
- ◆ **الجنرال كارمونا Carmona** : جنرال مكسيكي مطرود من بلاده عقب انقلاب في الحكم ، ويعمل في خدمة المخابرات الانجليزية ولا يتورع عن ارتكاب أية جريمة
- ◆ **اندريادي Andriadi** : جاسوس لحساب المانيا ، يوناني الجنسية قادم من بلاد اليونان الى إيطاليا في مهمة سرية
- ◆ **الكولونيل Colonel R.** : مدير المخابرات العسكرية الانجليزية، والرئيس المباشر لاشندن والعقل الموجه لأمراته ومقامراته

الفصل الأول

الإسم السرى

في أوائل سبتمبر عاد أشندن الكاتب المحترف الى الجزيرة البريطانية بعد مصاب جمة بسبب نشوب الحرب . وبعد ذلك بأيام جمته الظروف في احدى السهرات بكولونيل كهل لم يعلق اسمه بذهنه . ودار بينهما حديث مما يسمر به الناس عادة في مثل تلك الحفلة . وقبيل انصرافه قال له الضابط :

— الديك مانع من زيارتي في مكتبى لنتحدث بعض الوقت ؟

— ليس عندي مانع بالتأكيد . متى تحب أن أزررك ؟

— فلدا في الحادية عشرة . هل يوافقك هذا الموعد ؟

ولما أبدى له موافقته كتب له عنوانه بالقلم الرصاص . ولما هم أشندن في اليوم التالي بالذهاب في الموعد المحدد وجد نفسه يدخل شارعاً عتيقاً كانت مبانيه بالطوب الاحمر تدل على ايفالها في القدم ، كما تدل على أن هذا الشارع كان من الشوارع الهامة في الماضي . وكان البيت المقصود يحمل لافتة للبيع ونوافذه مغلقة كلها مما يوحي بأنه غير مأهول

وردن أشندن جرس الباب ففتح له على الفور ضابط لم يوجه له أى سؤال بل أدخله على الفور الى حجرة مستطيلة في مؤخرة البيت كانت يوماً ما حجرة مائدة . وزخارفها لا تتفق اطلاقاً مع اثاث المكتب القديم الموضوع فيها . ونهض الكولونيل لاستقبال أشندن وشد على يده . وعرف أشندن فيما بعد أن هذا الكولونيل يطلق عليه في المخابرات البريطانية اسم سرى مكون من حرف واحد لا أكثر هو : « ر » . وهو رجل طوله أكثر من المتوسط بقليل ، له وجه أصفر به خطوط دائرة ، وشعره خفيف اشهب اللون ، وشاربه اشسبه

بفرشاة الاسنان . وكان الذي لفت ذهن اشندن لاول وهلة التقارب الشديد بين مقلتيه الزرقاوين . وكانت عيناه قاسيتين يقظتين تضفيان عليه سمة الدهاء بحيث تشعر من النظرة الاولى أنك ازاء رجل لا يحب ولا يوثق به ، مع أن لهجته ودية وسلوكه لطيف

والقى الكولونيل على اشندن أسئلة كثيرة ، ثم قال له من غير تعهد أن فيه صفات كثيرة ترشحه لخدمة المخابرات السرية ، فهو يتقن عدة لغات أوروبية . وحرقة التأليف تصلح غطاء جيدا لتنقلاته وإقامته بعض الوقت في الدول المحايدة

ولم يستغرق الاثنان وقتا طويلا في الوصول الى اتفاق . وعندما نهض اشندن للانصراف كان قد سجل بعناية التعليمات الدقيقة الصادرة اليه . واولها أن يسافر الى جنيف في اليوم التالي وكانت آخر كلمات الكولونيل وهو يصافحه مودعا :

— من واجبي أن ابصرك بما ينتظرك في هذه الخدمة . ان أحسنت فلن تتلقى الشكر . وأن انزلت في مكروه فلن تجد عوننا منا . فهل هذا مما تطيب به نفسك ؟

— تماما

— أذن اتنى لك التوفيق



الفصل الثاني

زيارة

كان أشندن في طريقه عائدا الى جنيف والليلة عاصفة والرياح تهب باردة من الجبال ، ولكن الباخرة الصغيرة ظلت تشق طريقهما باصرار بين أمواج البحيرة الثلوجية ، والطر ينهمر وابلا على سطحها في عنف كأنه امرأة تمسأغبه لا تريد أن تترك بابا للأزعاج الا طرقته

وكان أشندن قد رحل الى فرنسا كي يكتب تقريرا ويرسله من هناك . وقبل ذلك بيومين حضر احد عملائه الهنود الى مسكنه في نحو الساعة الخامسة بعد الظهر على غير موعد مسابق ، وكانت التعليمات الصادرة الى العملاء الا يتقابلوه في الفندق الا للضرورة القصوى . وقال الهندي أن بنغاليا في خدمة الالمان وصل اخيرا من برلين ومعه حقيبة سوداء بها تقارير ووثائق تهم الحكومة البريطانية . وفي ذلك الوقت كانت سياسة الاعداء العمل على اثارة المتاعب في الهند كي تضطر الحكومة الانجليزية الى ابقاء جيوشها هناك مشغولة بقمع الاضطراب ، هذا ان لم تضطر لارسال مزيد من جيوشها الموجودة في فرنسا . وقد اتضح انه يمكن حمل السلطات في برن على اعتقال ذلك البنغالي بتهمة ما ، ولكن الحقيبة السوداء لم يعثر لها على اثر

وكان الهندي عميل أشندن رجلا شديد البراعة واسع الخيلة كثير الاختلاط بمواطنيه المعادين لبريطانيا فعرف أن البنغالي كان قد احتاط للأمر فترك الحقيبة في مخزن الامانات بمحطة زيورخ . فلما قبض عليه والقي في السجن انتظارا للمحاكمة لم يعد في وسعه ان يسلم البطاقة لاحد اعوانه كي يسحب الحقيبة من المخزن . وكان

من المهم جدا لدى المخابرات الألمانية أن تومن محتويات الحقيبة على وجه السرعة . ولما كان من المستحيل عليهم الحصول على الحقيبة بالوسائل الرسمية العادية من غير البطاقة ، فقد استقر رأيهم على مهاجمة المحطة في هذه الليلة بالذات لسرقة الحقيبة . وهي خطة جريئة متهوره ، ولكن أشندن وجد فيها مايشير اهتمامه ، بعد أن تسرب الملل الى نفسه من رتبة العمل . وكان يعرف أن رئيس المخابرات الألمانية في برن رجل مندفع لا يعرف التورع

وكان الموعد المحدد لذلك الاقتحام هو الساعة الثانية من صباح الفد . ولم يكن في استطاعة أشندن أن يثق بالبرق أو التليفون في الاتصال بالضابط البريطاني في برن . والعميل الهندي لم يكن في وسعه أن يذهب لمقابلة ذلك الضابط في برن ، لانه حمل رأسه على كفيه حينما حضر الى جنيف لمقابلة أشندن . ولو شوهد خارجا من حجرته بالفندق لاعتبره مواطنوه خائنا . وصار من المرجح أن توجد جثته طافية بعد ايام قلائل على وجه البحيرة وقد غار الخنجر في ظهره حتى القبض . فلم يبق أمام أشندن اذن الا ان يسافر بنفسه الى برن

وكان هناك قطار مسافر الى برن بعد دقائق قليلة فأسرع أشندن . وبعد أربع ساعات كان يطرق باب قيادة المخابرات هناك . وكان اسمه غير معروف لاحد هناك سوى شخص واحد طلب أشندن مقابلته ولم يكن قد التقى به من قبل ، فجاءه رجل طويل القامة يبدو عليه التعب فقاده الى مكتب منعزل . وأقضى اليه أشندن بمهمته ، وعندئذ نظر الرجل الطويل الى ساعته ، وقال :

— أن الوقت لا يتسع كي نعمل شيئا بأنفسنا . لاننا لن نصل الى زيورخ في الوقت المناسب . فمن الخير أن نعرض الى السلطات السويسرية بالعمل حتى اذا اقتحم أصحابنا المحطة وجدوها في حراسة شديدة . ويستحسن أن تعود أنت الى جنيف

وصافح أشندن وودعه الى الباب . وأدرك أشندن انه لن يعرف بقية القصة لانه مجرد حلقة صغيرة في سلسلة ضخمة من العملاء السريين

وكان يشعر بالبرد شعورا شديدا رغم معطفه المبطن بالفراء ، وقد

وطن النفس على أخذ حمام ساخن بمجرد وصوله الى الفندق ، ثم يتناول عشاء دسما بجوار المدفأة في حجرة النوم وهو في بيجامته ، كى يسرى الدفء الى اوصاله المقرورة ، ثم ينخلو بعدئذ الى غليونه وبين يديه كتاب . وكانت هذه الامنية كافية لتخفيف فظاعة الجو على سطح الباخرة الصغيرة . وكان جواز سفره لا يحمل اية اشارة الى قدومه من فرنسا . وهنا الجوار خال من الاختام الفرنسية مما قد يعرضه لتعقب ، ولاسيما ان البوليس السرى السويسرى كان شديد اليقظة لوضع حد للمؤامرات والدسائس التى يقوم بها الفريقان المتحاربان فوق الاراضى السويسرية المحايدة

وكان هناك كالمادة ضابطان من ضباط الشرطة على الرصيف لمراقبة النازلين من الباخرة . وتنفس اشندن الصعداء عنسلما تخطاهما من غير ان يحدث شيء . وسرعان ما اتجه تحت جناح الظلام نحو فندقه . وكانت المتاجر قد اغلقت ابوابها وقلت الشوارع الا من عدد يسير جدا من المارة . وكان فندقه في مواجهة البحرية ، فما ان فتح له البواب حتى اسرع يخترق البهسو المتلألئ بالانوار ليركب المصعد . واذا بعامل الاستقبال يخبره ان في حجرته سيدين ينتظران مودته . ولم يكن لاشندن اصدقاء في جنيف فقتل بدهشة :

— من تراهما يكونان ؟

وايتسم الرجل الذى كانت هبات اشندن السخية تمره ، وقال :

— لا اخفى عليك انهما من رجال الشرطة

— ماذا يريدان ؟

— لم يصرحا لى بشيء عن قرضهما . لقد سالا عنك فقط فقلت انك خرجت لنزهة . فاصرا على انتظار عودتك الى حجرتك

— ومنذ متى ؟

— منذ ساعة .

وغاص قلب اشندن ولكنه لم يدع ملامحه تنبئ عن قلقه . وغادر المصعد متعللا للعامل بانه يريد الصعود على قدميه ليقاوم البرد . والحق انه صعد الطبقات الثلاث ببطء ليمنح نفسه مهلة للتفكير

وكان على شبه يقين من سبب حضور ضابطى الشرطة . ولعن ظروف التعب بعد الرحلة المرهقة والبرد الشديد . فليبت لديه

الهمة كي يجابه موقفا عصيبا . وليس لديه الاحتمال لقضاء مثل هذه الليلة الغظيمة في زنزانة الحبس

وخطر بياله أن ينزل ثانية ويقادر الفندق ويترك حقائبه ويستقل اول قطار الى خارج الحدود السويسرية . ولكن قدميه لم تستجيبا لهذا الخاطر واستأنفتا الصعود . مع أنه كان يعلم جيدا أن ثبوت مهمة النشاط المنافي للحياة معناه السجن سنتين . ولكن هذه ضريبة العمل في المخبرات كما أن التعرض للقتل ضريبة الجالس على العرش

ولما وقف أخيرا أمام باب حجراته المقلل بدأت عزيمته تتجمع وذهنه يتوقد . وكانت الابتسامة الطبيعية على شفثيه عندما فتح الباب وواجه زائريه بتحية تفيض بشاشة ومودة

وكانت جميع الانوار في الحجرة مضبوطة . والنار متوهجة في المدفأة . ودخان السجائر يملا الجو . وكان اشندن محبا للاناقة والترتيب . فاستطاع أن يظن بنظرة وإحداة الى أن جميع محتويات الحجرة فتشت تفتيشا دقيقا . ولم يُزعجه ذلك لانه لم يكن يحتفظ في حجراته بأية وثيقة يمكن أن توقعه في مازق . وأما شفرته فكان يحفظها عن ظهر قلب . ولكن عملية التفتيش نفسها اكدت أرتياب السلطات السويسرية في أمره

— أية خدمة استطيع تقديمها لكما أيها السيدان ؟ الستما تجدان الجو حارا هنا فيحسن أن تخلصا معطفيكما وقبعتيكما ؟

— لن نبقى الا برهة وجيزة

وخلع اشندن وشاحه ومعطفه الثقيل ثم قدم اليهما سيجارا فاخرا ، اخلاه من غير كلمة شكر . ولكن فخامة السيجار أوحى اليهما بشيء من الاحتشام والاحترام فخلصا قبعتيهما ، ثم قال احدهما :

— نحن من الشرطة . ونريد الاطلاع على جواز سفرك

وأبرل اشندن جواز سفر جديد ليس فيه أية معلومات عن تحركاته سوى أنه جاء من لندن منذ ثلاثة أشهر ولم يبرح سويسرا حتى ذلك الوقت . وتناول احدهما الجواز ونظر فيه بعناية ثم أمطاه لزميله وهو يقول :

— اظنه على ما يرام

وكان اشندن في تارك الاثناء واتقيا امام النار يتدفا وبين شفثيه
سيجارة فلم يعلق بشيء وان كان يرقب الرجلين بحذر خفى يموهه
بطلاقة محياه . ثم رد اليه احدهما الجواز ، وهو يقول :

— لقد كلفنا مدير الشرطة بالاستعلام منك عن بضعة ادور . اذ
يبدو ان الكثيرين من النزلاء قدموا شكاوى من الضجة التي يحدثها
المنصرفون من الكازينو في سامة متأخرة من الليل فاحبينا ان نعرف
هل انت شخصيا ممن ازعجتهم الضجة ؟ فلو كانت الضجة شديدة
لسمعناها حتما لان طريقهم من تحت نافلتك

وذهل اشندن لاهتمام مدير البوليس براحته في منامه الى هذه
الدرجة . ولكنه رجح ان الرجل تعطل بهذا العذر لانه لم يجد ضده
دليلا يبرر مواجهته بالاستباه . فمن المقطوع به ان هناك من وثى
باشندن ، ولكنه قال بصورة طبيعية للغاية :

— الحقيقة انى اتام نوما عميقا . ولم يزعجنى في اقامتى شيء .
ولو فرضنا انى استيقظت مرة من نومي على الضجة فلن يخطر
ببالى ان اتقدم بشكوى . فمن حق الناس ان يمرحوا في هذا الوقت
العصيب الذى تجتازه البشرية . هنا شعورى ايها السيدان

— لقد لاحظت في جواز سفرك ان مهنتك التاليف ياسيدى . وهى
مهنة جليلة تجلب لصاحبها المجد ، فعماذا تفعل هنا في جنيف ؟
فشعر اشندن ان وراء السؤال ما وراءه ، وقال ببراعة تامة :
— اؤلف مسرحية

واشار بيده الى الاوراق المتناثرة على المنضدة ، وكان واقفا انهما
اطلما عليها قبل حضوره . فقال احدهما :

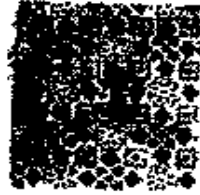
— ولماذا تؤلف مسرحيتك في جنيف بالذات لا في وطنك ؟
فازدادت ابتسامة اشندن اشراقا . وكان هذا السؤال من الاسئلة
التي اعد الكتابة عنها منذ قدومه الى سويسرا ، فقال :

— هل نسيت الحرب ؟ ان وطنى في حالة قلق بسبب الحرب فمن
المستحيل ان اجد هناك الهدوء اللازم لكتابة المسرحية
— وهل هى ملهاة ام ماساة ؟

— ملهاة من النوع الخفيف . والفنان يحتاج الى الهدوء والسلام

كي ينتج . وكيف يتوفر ذلك في بلد محاروب ؟ ومن حسن حظ
سويسرا أنها محايدة . ولما خيل إلى أنني سأجد في جنيف الهدوء
الذي أشده

وظهر الافتناع على الشرطيين فنهضا وصانعهما أشندن . ثم افلق
خلفهما الباب وزفر زفرة ارتياح عميقة دخل بعدها الحمام ، وهو
يتذكر مشاحنة حدثت منذ بضعة أيام بينه وبين سائق سويسري
من أصل الماني طلب زيادة اتعابه فرفض أشندن . وأنصرف السائق
برنارد حائقا . ورجع أشندن أن برنارد هو الذي وثى به إلى
السلطات السويسرية . وحمد ربه لان الازمة مرت هذه المرة
بسلام



الفصل الثالث

الآنسة كنج

استلقى أشندن مسترخيا في حوض الاستحمام ، مسلما بدنه للماء الساخن ، وقد سره انه سيتمكن في الغالب من اتمام مسرحيته في هدوء وسلام . فالشرطة قد صرفوا انظارهم عن تعقبه في الوقت الحاضر وان كان من المحتمل انهم بدعوا يرقبون حركاته منذ الان بشيء من العناية . ولكن من غير المتوقع ان يتخذوا ضده خطوة اخرى قبل ان يكون قد اتم على الاقل مسودة الفصل الثالث . فمن الواجب اذن ان يلزم جانب الحيلة لان زميله في مدينة لوزان حكم عليه منذ اسبوعين بالخس . ولكن ذلك ينبغي الا يشغل على اعصابه ، فسلفه في مدينة جنيف أصيب بانويار عصبي على اثر الضغط الناتج من مراقبة الشرطة المستمرة له ، ولذلك اضطر المسئولون ان يسحبوه وارسلوا أشندن ليحل محله

واهم شيء في عمل أشندن ان يذهب مرتين كل اسبوع الى السوق ليتلقى التعليمات التي تحضرها له فلاحه عجوز من اقليم السافوا الفرنسي تأتي الى جنيف لتبيع الزبد والبيض مع رفيقاتها . والتفتيش على الحدود ليس دقيقا لان اولئك الفلاحات يصلن الى نقطة التفتيش قبيل الفجر ، والموظفون نيام ، فيتخلصون من ثرثرتهن وضجتهن بأسرع وقت . ولا يخطر بالبال ان هذه العجوز السمينة المتوردة الوجه التي يفتر فمها عن ابتسامة ساذجة تخبيء بين ثدييها الضخمين قصاصة صغيرة من الورق تكفي لالقاء القبض عليها وعلى كاتب انجليزى يزحف الى اواسط العمر . وكانت هذه المرة تقدم على هذه المجازفة ثمنا لابعاد ابنها عن خنادق الميدان

وكان أشندن يذهب الى السوق بعد التاسعة عندما تكون ربات

البيوت قد فرغن من شراء حوائجهم ، ويقف أمام السلة ليشتري نصف رطل من الزبد ، ويعطيها ورقة مالية فتود إليه بقية نقوده ، ومعها القصاصة الصغيرة ، فيدس قبضته في جيبه . ويعود مسرعا الى الفندق فيطالما خلسة ويحفظها عن ظهر قلب ثم يحرقها
وتهد اشندن لان حرارة الماء بدأت تفل ، ولم يكن في استطاعته ان يصل الى الصنبور المرتفع بيده ولا بأصابع قدمه ، وهو راقد . ولو نهض ليضيف ماء ساخنا الى الحوض ، سيكون قد تخطى عن الاسترخاء ، وعندئذ يستوى عنده العودة الى الماء الساخن او الخروج من الحمام

وظل اشندن مترددا برهة ، وهو يسلى نفسه بتذكر الفكاهات التي يريد ايرادها في مسرحيته . واذا به يسمع طرفا خفيفا على باب حجرته كهتف :

— من الطارق ؟

— رسالة

— ادخل وانتظرنى دقيقة

وخرج اشندن من حوض الاستحمام واحاط نفسه بمنشفة ثم دخل حجرته فوجد وصيفا من وصفاء الفندق ينتظره برسالة من احدى التزييلات تدعوه للعب البريدج بعد العشاء في جناحها الخاص . والرسالة بتوقيع البارونة فون هيجنز . وكان اشندن يتوق الى تناول عشاءه في حجرته وهو بملابس النوم ثم يطالع كتابا بجوار المدفأة . فهم ان يرفض الدعوة ، ثم خطر له ان الرفض في مثل ظروفه غير مستحب ، بل يستحسن ان يظهر ساعة العشاء في حجرة المائدة الكبرى . فلا بد ان اخبار زيارة رجال الشرطة له قد ترددت على الالسنة . فمن الواجب ان يظهر ان هذه الزيارة لم تترك لديه اثرا سيئا . واحجابه عن الظهور في قاعة المائدة ورفضه دعوة البارونة سيفسر تفسيراً سيئاً

وخطر بباله ايضا انه ربما كان البالغ ضده من نزلاء الفندق . وكان اسم البارونة فون هيجنز من بين الاسماء التي حامت حولها ظنونه . فمن الطريف ان يلعب معها البريدج . ولذا قال للرسول انه يسره تلبية الدعوة ، ثم شرع يرتدى ملابس السهرة

كانت البارونة فون هيجنز امرأة نمساوية ، تتسكلم الانجليزية والفرنسية بطلاقة تامة . وكان جدها لايها سائسا انجليزيا في يوركشير . صحبه معه الى النمسا احد الامراء . وكان السائس الانجليزي جميل الصورة ففتن احدي الفرندونات واستغل تلك الحظوة بحيث اصبح في نهاية حياته بارونا ووزيرا مفوضا للنمسا لدى بلاط احدى الامارات الايطالية

والبارونة هي حفيدته الوحيدة ، تزوجت زواجا غير موفق ، ثم انفصلت عن زوجها واستردت اسم عائلتها . ولكنها لم تكن تذكر عن جدها سوى انه كان سفيرا . ولا تشير طبعا الى انه بدأ حياته سائسا . وقد علم اشندن هذه الحقيقة من فينا عندما توثقت بينهما المعرفة ولاح له أن معرفة المزيد عن حياتها امر يقتضيه الحرص في مهنته

وعلم أيضا من فينا أن ابرادها الخاص لا يسمح لها بالحياة على هذا المستوى الباذح في جنيف . ولما كانت تتحلى بمزايا كثيرة تزكيتها لمهنة الجاسوسية ، فمن قبيل الاحتياط يجب اعتبارها جاسوسة . وعلى هذا الاساس صار اشندن يراها زميلة في المهنة ، مع اختلاف في العسكر

وعندما نزل اشندن الى حجرة الطعام وجدها فاصمة بالناس ، تجلس الى مائدته المعتادة ، ثم طلب - على حساب الحكومة البريطانية - زجاجة شمبانيا . واقمت اليه البارونة بابتسامة خلابة ، وهي امرأة تجاوزت الاربعين ، بيد انها أنيقة ورشيقة ذات جمال خللاب للغاية : شقراء ذهبية الشعر ذات ملامح دقيقة ، ومقلتين زرقاوين ، وأنف مستقيم ، وبشرة يختلط فيها الورد باللبن ، ترتدي ثوب سهرة بيدي من جيدها الاتلع أكثر مما يخفى . ومع فخلامة ثيابها لم تكن تتحلى بمجوهرات ، مما يدل على أن الدولة التي تستخدمها فتحت لها حسابا ضخما لدى دور الازياء . ولم تفتح لها حسابا لدى تجسار المجوهرات

وفي أثناء انظار اشندن لاطباق الطعام جعل يجيل بصره في القاعة . ومعظم الحاضرين اشخاصهم مالوفة لديه ، فمدينة جنيف في ذلك الحين كانت مهد الدسائس الدولية . وكان هذا الفندق مركزها

الرئيسى . كنت تجد فيه فرنسيين وايطاليين وروسيين واتراك ورومانيين ويونانيين ومصريين . نفر منهم هربوا من اوطانهم بسبب الحرب ، ولكن نفرا آخر منهم جواسيس بغير شك . فكان هناك مثلا بلغارى يعمل تحت رئاسة اشندن . ولكنه على سبيل الاحتياط لم يكلمه في جنيف مرة واحدة . وهاهو ذا يتناول العشاء مع اثنين من مواطنيه ، وهناك مومس المانية صغيرة السن ذات عيني زرقاوين ووجه مثل وجه اللمية ، وهى دائمة التنقل على طول شواطئ البحيرة بين جنيف وبرن . ومهنتها تتيح لها الحصول على نتف من المعلومات لاشك ان رئاسة المخابرات الالمانية تعيرها اهمية كبرى . وهذه المومس تنتمى طبعا الى طبقة تختلف كثيرا عن طبقة البارونة ومجال نشاطها لا تستطيع ان تنشط فيه البارونة

ولاحظ اشندن ايضا وجود الكونت فون هولمندن ، وهو رئيس الجاسوسية الالمانية في مدينة فيفى . وينتمى الى اسرة تصاهر العائلة القيصرية . وكان يوما ما يعيش في لندن وهناك عرفه اشندن . ولما نسبت الحرب صار كل منهما يتجاهل الآخر . ولم يسبق للكونت ان وطئت قدمه هذا الفندق ، كما انه ليس من المعقول ان حضوره الليلة كان احتباطا

وتساءل اشندن هل لوجود الكونت الليلة علاقة بظهور الامير « على » في قاعة المائدة على غير المألوف . والامير « على » مصرى من اقرب اقارب الخديو الذى عزله الانجليز عن عرش مصر لميسوله التركية . وقبل اسبوع حضر الخديو تحت سستار من السرية الشديدة ، فامضى ثلاثة ايام في الفندق مع الامير على في جناحه الخاص للتشاور في ائارة المتاعب لبريطانيا على ضفاف النيل . والامير على يقيم في الفندق بصفة دائمة مع ابنته ومدبر اعماله مصطفى باشا . ومن عادة الامير ان يتناول طعامه في جناحه الخاص بمفرده . اما كريمته فمن النوع المنحدر جدا ، وتتمشيان مع السكرتير ومريبتهما الانجليزية العجوز الانسة كنج في قاعة المائدة ، ثم تخرجان للسهر الى الصباح في المراقص الليلية . ولكن الامير الليلة خالف عادته وجلس يتمشى في القاعة الكبرى

والانسة كنج انجليزية كانت مربية للامير على من قبل . وقد

حاول أشتدن في مبدأ إقامته أن يحييها باعتبارها مواطنة ، ويعتمد صلة ودية معها تنعنه في عمله ، ولكنها أظهرت برودا أوفقه عند حده ، حتى أنها قالت له بالفرنسية - لأنها ترفض التحسث بالانجليزية ! .

- لا أريد أن أتعرف الي غوياء !

وأصحت هذه العجوز توليه طهرها كلما التقت به وجها لوجه . وكان من المفروغ منه أنها تلبس شعرا مستعارا بنى اللون . وفي أحيان كثيرة كانت لا تحسن تسيينه فوق وجهها المغطى بالتجاعيد . بيد أنها كانت تصر على وضع بقعين حمراوين فوق وجنتيها ، وصيغ شفتيها بصياغ احمر صارخ . أما ملابسها فذات ألوان فاقعة ، وقعتها مما ترتديه العيات الصغيرات . ولكن حذاءها له دائما كعب مرتفع جدا . فلا عجب ان كان الناس ينفثون في الشارع ليحملقوا فيها بأبواب مفتوحة

وعلم أشتدن ان الأنسة كنج لم تزر إنجلترا منذ التحقت بخدمة والدة الامير على . فملكه الفضول لمعرفة ماعسى ان تكون هاتان العينان قد ابصرناه في اقبية الحريم في غضون نصف قرن ، فمما لاشك فيه أنها أدركت عهد اسماعيل ، وما كان في أيامه من دولة طائلة لعانيات الحريم !

وعلم أشتدن أيضا أنه لم تعد لها في وطنها إنجلترا أسره أو أصدقاء، وأن عواطفها معادية لانجلترا . وأن خشونتها معه ترجع ولاشك الى أوامر مشددة من مخدومها ان تكون منه بالذات على حذر . فأخذ يتساءل ما الذى يدور في رأسها وهي جالسة تنظسر بعينيها الى كريمتى الامير على المتحررتين وهما تسهران كل ليلة وحدهمسا في الملاهى السبئة السمعة حتى الصباح



وبعد قليل انتهت البارونة فون هيچنز من تناول عشائها فجمعت منديلها وحقيبة ندها ونهادت خارجة والخدم يتحنون لهمسا على الجانبين . حتى اذا بلغت مائدة أشتدن تمهلت وقالت له بانجليزيةتها المتقنة التى تكاد تخلو تماما من اللكنة الالمانية :

- انى لسعيدة انك ستتمكن الليلة من لعب البريدج . فهل لك

ان تاتي الى حجرة جارسى لتتناول قهوتك ؟

— ما ابداع هذا الثوب !

— انه فطيع ! فلا ادري الان ماذا افعل وقد امتنع على الذهاب الى باريس لشراء ثيابي . ولا ادري لماذا جر هؤلاء البروسيون وطني المسكين الى هذه الحرب الفظيعة . . .

ورسفته بابتسامة خلافة تم استأنفت تهاديها . ولم يفرغ اشندن من تناول عشائه الا بعد مدة ، وعندما نهض للانصراف كانت قلعة المائدة قد اُضمت خالية تقريبا . وصعد الى الطابق الثاني وطرق باب البارونة ، ففتحت له على الفور واستقبلته مبسوطة اليدين في مودة سابقة وجدبته الى الداخل . فاذا بالشخصين اللذين سيلعبان معهما هذه اللعبة الرباعية موجودان ، وهما الامير على وسكرتيره مصطفى باشا . ودهش اشندن دهشة شديدة . ثم قامت البارونة بالتقديم في فرنسيتها الطلقة . وايدى مصطفى باشا حفاوة وذلافة لسان . اما الامير فكان خجولا قليل الكلام

ومصطفى باشا رجل ضخيم الجسم بدين في نحو الخامسة والاربعين ، له عينان واسعتان كثيرتا الحركة وشارب كبير اسود . يعطى رباط عنقه بعماسة كبيرة ، ويزين رأسه بطربوش احمر

واخذت البارونة تطرى ادب اشندن ومؤلفاته وقدرته في لعب اليريدج . ولكن اشندن لم يقترب بهذا الاطراء ، لانه كان يعلم حدود تلك القدرة الحقيقية . انه لاعب جيد بين لاعبي الدرجة الثانية . وقد لعب امام احسن لاعبي العالم وادرك انه ليس من مستواهم . وظل حائرا في السبب الذي دعا البارونة للجمع بينه وبين هذين المصريين المتغيبين في هذه الليلة . وغلب على ظنه ان البارونة هي التي حرضت عليه رجال الشرطة السويسرية . ولذلك وجهت اليه الدعوة بعد ان فشلت خطتها في القبض عليه لتنفى عن ذهنه الشك فيها

وكان معظم الحديث اثناء اللعب عن جمال باريس وذكريات الامير فيها وعن مسكنه الفخم ، وما يضمه في العاصمة الفرنسية من افخم الرياض وامن التحف الفنية . واظهر اشندن عطفه واعجابيه بالحركة القومية في مصر وانه يرى « فينا » اجمل عواصم أوروبا . فكان يرد على المجاملات بمجاملات مثلها ، وهو حريص على الا يظفروا منه

بمعلومات تتجاوز ما يمكنهم معرفته مما ينشر في الصحف السويسرية.
وخيل اليه أن هناك عملية جس نبض لمعرفة مدى استفادته لبيع
مواهبه لمعسكر آخر . وكان جس النبض بطريقة لبقة للغاية
وما أن دقت الساعة منتصف الليل حتى نهض الأمير واقفا ،
وقال :

— لقد تأخر الوقت . ولاشك أن مستر اشندن لديه عمل كثير
في الغد فلا يجمل بنا أن نبقية ساهرا

وفطن اشندن الى أن هذه إشارة له بالانصراف . فنهض مستاذا
وترك الثلاثة يتداولون في الموقف وهو واثق أنهم لم يظفروا منه بطائل
وما أن دخل باب حجرتة حتى شعر بتعب شديد ووجد مشقة في
فتح عينيه وهو يخلع ثيابه . وما أن رقد في فراشه حتى استغرق
في النوم

وخيل اليه أنه لم ينام أكثر من خمس دقائق عندما أيقظه طرق
متوال على الباب . وأصغى برهة ثم هتف :
— من هناك ؟

— الوصيعة . افتح . عندي ما أقوله لك

فنهض اشندن وهو يلوك اللعنات وأوقد المصباح ثم سوى شعره
بأصابعه وفتح الباب . فرأى الوصيعة السويسرية وقد بدا من
ملابسها أنها ارتدتا في عجلة شديدة ، ووجهها مكفهر

— السيدة الانجليزية العجوز مربية الأميرتين المصريتين في النزح
الآخر ، وهي تلح في حضورك

— أنا ؟ مستحيل . أنا لا أمر بها . وهي كالت على ما يرام هذا
المساء

— ولكنها تلح في طلبك . هلنا ماقاله الطبيب . فأرجو أن تسرع
بالحضور لانها في الرمق الأخير

— لا بد أن هناك خطأ . فهي لا يمكن أن تطلبني

— لقد ذكرت أسمك ورقم حجرتك . فأرجوك أن تسرع

فهب اشندن كتفيه ولبس خفا ومعطفا ، ودس في جيبه مسدسا
صغيرا لا لانه يجد لاستعماله نفعا ، فهو يكره الاسلحة النارية ، بل
لا يبعنه حملة في نفسه من طمانينة في مثل هذا الظرف الغامض

وحجرة الأنسة كنج ترتفع فوق حجرة أشندن بطابقين . وفي الطريق دهش أشندن عندما عرف أن السامة بلغت الثالثة . وعندما طرقت الوصيفة الباب فتحه مسيو بريديه نائب مدير الفندق . وكان يلبس في رجله خفا وفوق بيجامته سترة بذلة السسهرة السوداء . فكان منظره مضحكا ، ولا سيما أن شعره المصفف في العادة بعناية كان غاية في الفوضى والتشعث . وأخذ الرجل يفرط في الامتداح الى أشندن لازعاجه قائلا :

— الف معذرة . ولكنها ظلت تلح في طلبك . وقال الدكتور «أربو»
انه لا بد من إيقافك
— لا بأس

ودخل أشندن فاذا حجرة خلفية صغيرة جميع مصابيحها مضاءة، ونوافذها مغلقة ، وجميع ستائرهما مسدلة . فكانت الحرارة شديدة . والطبيب السويسرى اللئحى الأشيب واقف بجوار الفراش . ورغم الإرهاق الشديد كان يدل عنانيته كلها . وقام بريديه بالتعريف :
— هذا هو مستر أشندن الذى طلبته الأنسة كنج . الدكتور أربو من كلية الطب بجامعة جنيف

ومن غير أن ينطق الطبيب بكلمة واحدة أشار الى الفراش . وكانت نظرة واحدة كافية لاصابة أشندن بصدمة . فالشعر المستعار موضوع بجوار الفراش على كرسى . ورأسها مغطى بطاقة بيضاء من القطن وقميص نومها يرجع طرازه الى القرن الماضى . ووجهها مغطى بالكريم الذى استعملته لازالة المساحيق عن وجهها . وقد بدت ضئيلة الحجم جدا وهى راقدة فى فراشها كأنها طفلة . وزاد مظهر تقدمها فى السن . فلا بد أنها تجاوزت الثمانين حتى صارت اقرب الى الدمية منها الى البشر . دمية ساحرة عجوز تفنن فى صنعها فنان ساخر . وكان الناظر اليها خليقا أن يظنها ميتة لولا هاتان العينان السوداوان ونظرتهما الثابتة

وخيل الى أشندن أن تعبير نظرتها تغير حين رآته ، فقال بمرح
مصطنع :

— يؤسفنى جدا يا آنسة كنج ان أراك بهذه الحالة
فقال الطبيب :

— ان الانسة كنج لا تستطيع الكلام . لانها اصببت بنوية اخرى
عندما كانت الوصيغة توقظك . وقد حققتها وربما استعادت القدرة
على استخدام لسانها بعد برهة . فعندها ماتقوله لك
— سانتظر بكل ارتياح

وخيل اليه انه لمح في هاتين العينين السوداوين نظرة سكر على
هذه الكلمة . وساد بعدها الصمت بين الاربعة المحيطين بفراش
العجوز المحتضرة

واخيرا قطع بريديه الصمت قائلا :

— اذا لم يكن هناك ما نستطيع ان اصنعه هنا فمن المستحسن ان
اعود الى فراشي . اليس كذلك ؟

فقال له الطبيب :

— اذهب انت يا صديقي . فليس بيدك ان تصنع شيئا

فالتفت مسيو بريديه الى اشندن قائلا :

— هل تسمح لي بكامة على افراد ؟

— بالتأكيد

ولمح الطبيب نظرة قزع مفاجئة في عيني الانسة كنج فقال برفق :

— لاتفرعى . السيد اشندن ليس منصرفا . سيبقى ما شئت انت

ان يبقى

وانتحي مساعد المدير العام للفندق بأشندن ناحية خارج الباب ،

وقال :

— هل استطيع ان اعتمد يا سيد اشندن على كتمانك ؟ من المزعج

جدا ان يموت احد في فندق . فالنزلاء الآخرون يستاءون من ذلك

ويجب ان نبلل كل ما في وسعنا حتى لا يعلموا شيئا . وساعمل على

نقل الجثة في اول فرصة . وساكون شاكرا لك غاية الشكر اذا

لم تذكر امام احد انه حدثت في الفندق حالة وفاة

— تستطيع ان تثق بذلك كل الثقة

— لسوء الحظ ان المدير العام متغيب هذه الليلة . واخشى انه

سيستخط جدا عندما يعلم . وطبعما كان في نيتي ان استدعى نقالة

تحملها الى احدى المستشفيات ، ولكن الطبيب أكد لي انها استموت

لو حركناها . ورفض رفضا باتا ان يسمح لي بنقلها . فليس ذنبي ان

تموت في الفندق !

- قلما يراعى الموت مقتضى الحال

- انها امرأة عجوز وكان يجب ان تموت منذ سنوات طويلة . او
على الاقل كان يجب على هذا الامير المصري ان يسيدعها الى وطنها فما
حاجته الى مربية طاعنة في السن بهذه الصورة ؟
- واين الامير الآن ؟ لقد ظلت في خدمته سنوات طويلة . الم يكن
ينبغي ان توقظوه ؟

- انه ليس في الفندق . خرج مع سكرتيره وامله يلعب الآن
البكاراه . وعلى كل حال لا يسعني الا ان ارسل من يبحثون عنه في
ارجاء جنيف
- والاميرتان ؟

- لم تعودا من السهرة بعد . فهما مجنونتان بالرقص كل ليلة
حتى الصباح . ولا أدري في اي ناد ليلي هما الآن . ولا اظنهما على
كل حال ستشكراني كثيرا اذا انا ارسلت في طلبهما الآن بسببها .
وعند عودتهما سيخبرهما عامل الاستقبال بما حدث لريبتهما . وهي
على كل حال لا تريدهما ، لاننى عندما ايقظونى ودخلت عليها الحجره
سألتهما هل تريد الامير او الاميرتين فقالت بحة لا ، لا !

- هل كانت تستطيع الكلام عندئذ ؟

- بصعوبة . ولكن الامر الذى ادهشنى انها كانت تتكلم باللفظ
الانجليزية . مع انها لم تستخدم الا الفرنسية . وكانت تكره كل
ما هو انجليزى
- ولماذا طلبت حضورى ؟

- هذا ما لا اعرفه . قالت ان لديها ما يجب ان تقوله لك في
الحال . وكانت تعرف رقم حجرتك ، وعارضت في مبدأ الامر .
فمن حقا ان تنام مستريحا في حجرتك التى تدفع اجرتها . ولكن
الطبيب الح في وجوب ايقاظك . وكانت هي اكثر العاجزا حتى انها
عندما طلبت منها ان تنتظر الى الصباح انفجرت باكية

وحدهج أشنندن المسيو بريديه بنظرة فاحصة . فاذا ذلك الرجل
السويسرى لايجد في الامر أى باعث على التائر ...

- سأنتظر أنا الى ان ينجل الموقف

— وأنا سأذهب الى فراشي شاكرًا لك تعاونك ووعظك بالكتمان
وعاد أشندن الى غرفة المحاضرة ، فحولت على الفور نظراتها اليه .
شعر بتأثر شديد ، وأن من واجبه أن يقول لها كلمة ملطقة
ولكنه لم يدر ماذا يقول . وأخذ الطبيب يشرح له كيف أصيبت بذلك
القالج فجأة . وبعد قليل قال لاشندن :

— انها قد تبقى على هذا الوضع ساعات . وليس أمامي ما أصنعه
لها فلا فائدة من بقائي وأمامي غدا يوم حافل بعبادة المرضى .
ويمكنك إيقافني بالتليفون اذا حدث اى تغيير فى حالتها
ثم ربت على خدها المتغضن كأنها طفلة ، وقال لها :
— اجتهدى أن تنامى . وسأعود لزيارتك فى الصباح
وبعد أن ودع أشندن الطبيب الى الباب قال للوصيفة :
— وانت ايضا عندك عمل مرهق غدا . ماذا يبقيك ؟ اذهبي الى
فراشك وحاولي أن تنامى

ونفضت الوصيفة فانصرفت وبقي أشندن وحده بجوار فراش
المحاضرة . نى ظهر فى عينيها السوداوين مجهود يائس للكلام .
ثم انهمرت الدموع من عينيها فأخرج أشندن منديلته ، وجففهما ،
وهو يقول لها :

— لاتزعجى نفسك . لاتبتئسى يا آنسة كنج . اصبرى قليلا
وسوف تستطعين قول كل ما تريدن

ولكن نظرة القلق لم تذهب من عينيها . وبدأت اعصابه تتمزق .
فاطفا المصاييح الا واحدا واشتدت رغبته فى تدخين سيجارة .
ولكنه وجد الموقف غير مناسب . وظل صامتا ينظر بين الحين والحين
نحوها ليجد عينيها مثبتتين فى وجهه . وهو لا يدري لماذا بعثت اليه
هو بالذات ؟ هل احست بحنين مفاجيء سامة الموت الى بلادها ؟
ان كان الامر كذلك فلماذا لم ترسل الا اليه وبين النزلاء انجليز
كثيرون ؟ انها تعلم انه جاسوس فلا بد أن ما تريد أن تقوله له علاقة
بهذه الصفة . انها معلومات يستطيع أن يستخلصها أو يجب أن
يعرفها قبل قوات الاوان

وبعد ساعة بدأت تضطرب . ولمح حركة على شفيتها ، فادنى
اذنه من فمها . وازداد الرعب اليائس فى نظرتها . ولم تستطع

أن تقول له الا كلمة واحدة بصوت أجش وهي تتوذب في جهد أخير
للقيام • فحمل رأسها بين يديه تلبية لهذه الرغبة • هذه الكلمة
الواحدة هي :

— انجلترا

ثم ثقل رأسها • ولا وسدما أدرك أنها فارقت الحياة



الفصل الرابع

المكسيكي الأعمى

قال الكولونيل لاشندن :

— هل تحب المكرونة ؟

فأجابه اشندن متعجبا :

— ماذا تعنى بالمكرونة ؟ انك حين تسألنى هذا السؤال كأنك تسألنى هل تحب الشمر . فانا أحب كيتس وأحب واردزورث وأحب فيرلين وأحب جيته . وانت حين تسأل عن المكرونة هل تعنى منها الاسبجتي أم التليسانلى أم الريبجاتولى أم الفرمتشلى أم التوفالى ؟

— أعنى المكرونة بسائر أنواعها

— انا رجل يحب جميع الأشياء البسيطة فى الحياة . أحب البيض المسلوقة ، والمحار ، والبطارخ ، وسماك السلمون المشوى ، والحمل المشوى ، وصدور الأوز المشوى ، والبودنج . ولكن أحب الأشياء البسيطة جميعا الى ، بل الشيء الوحيد الذى أستطيع أن أكله كل يوم لا يغير تغرز فحسب بل يشفف وتلف هو المكرونة !
فقال الكولونيل عندئذ :

— يسرنى أن أسمع منك هذا الكلام لانى أريدك أن تذهب فى مهمة الى إيطاليا

وكان اشندن قد حضر من جنيف لمقابلة الكولونيل فى مدينة ليون . فوصل قطاره مبكرا قبل وصول الكولونيل فبقى فترة بعد الظهر يتجول فى أرجاء تلك المدينة المزدحمة الثقيلة الظل . وهما الآن جالسان فى مطعم كان اشندن هو الذى قاد الكولونيل اليه عند وصوله ، لانه مشهور بتقديم أفضل طعام فى تلك المنطقة

من فرنسا . وكان المعلم مزدحما ، لأن أهل ليون يحبون الطعام
الجيد ، فلا تستطيع أن تضمن انصات الأذان لما يخرج من شفتيك .
ولهذا اكتفى الاثنان بالخوض في موضوعات سطحية . وفي ختام
الطعام قال الكولونيل :

... الك في كأس أخرى من البراندى ؟

... كلا وشكرا

فتناول الكولونيل الزجاجاة وصب لنفسه كأسا ولاشندن مثلها ،
وهو يقول :

... يجب أن ينتهز الإنسان كل فرصة ممكنة للتخلل من قيود

الحرب

ووجد اشندن أن الاعتراض سيكون سخياف الوقع ، فتناول
كأسه وأخذ يرشف منها في ببطء ، وطلب الكولونيل قائمة الحساب .
ومع أنه شخصية هامة ، وله سلطة اعزاز أو اذلال عدد ضخم من
اتباعه ، وآراؤه لها وزنها عند من بيدهم مصائر الامبراطوريات ، إلا
أنه كان يشعر دائما بالحرج الواضح جدا كلما اقتضت الحال أن
يعطى هبة للخدم . فهو يخشى أن يبدو مغفلا ، إذا اعطاهم أكثر مما
ينبغي بكثير . ويخشى أن يثير ازدياءهم إذا اعطى أقل مما يجب .
فبعثما جاء الساقى بقائمة الحساب اعطى الكولونيل اشندن بفسح
مشك من الفرثكات قائلا :

... ادفع أنت الحساب . فانا لا اتقه الارقام الفرنسية

ثم جاء الخادم بالقبعتين والمطفيين . وسأل اشندن :

... أتحب أن تعود الآن الى الفندق ؟

... من المستحسن ذلك

وكان الوقت في أوائل العام ولكن الجو كان دافئسا فمشيا وكل
منهما يحمل معطفه فوق ذراعه . وكان اشندن يعلم أن الكولونيل
يفضل أن تكون له حجرة استقبال خاصة ملحقة بحجرته فراعى
ذلك عندما حجز له مكانا في الفندق . وإلى تلك الحجرة توجه
الاثنان بمجرد دخولهما الفندق المشيد على الطراز القديم . ولذا
كانت حجراته واسعة والاثاث لقيلا مصنوعا من خشب الموجنى .
وكسوة المقاعد الضخمة من القטיפئة الخضراء ، واجدران مزينة

بمناظر من مواقع نابليون . ويتدلى من السقف شمعدان ضخيم كان
يستخدم للإضاءة بالغاز ثم ركبت عليه مصابيح كهربائية
واحتل اشندن مقعدين جلس على أحدهما وبسط قدميه فوق
الأخر . فلما رآه الكولونيل على تلك الصورة قال :
— هذه فكرة لا بأس بها

ثم جلب مقعدا آخر وضع فوقه قدميه وتهد برتياح وسأل :
— أى حجرة هذه التى تجاورنا من هذا الجانب ؟
— حجرة نومك
— ومن الجانب الآخر ؟
— بهو للمآدب

فنهض الكولونيل وجاب أرجاء الحجرة ونظر وراء الستائر
الثقيلة ثم عاد الى مقعده ، ورفع قدميه فوق المقعد الآخر ، وقال :
— من الأفضل دائما أن يتخذ الانسان الحيطه

ثم نظر الى اشندن بامعان وقد لاحت على شفثيه الرقيعتين
ابتسامة يسيرة ، بيد أن العينين الشاحبتين المتقاربتين احتفظتا بما
فيهما من برودة فولاذية . ولا شك أن تحديق الكولونيل كان خليقا
أن يضايق اشندن لولا أنه تعود ، فأدرك أن الكولونيل يفكر فى
كيفية مفاتحته فى الموضوع الذى يشغل ذهنه . ودام الصمت
دقيقتين أو ثلاثا . ثم قال أخيرا :

— انى أنتظر قدوم شخص سيحضر لقمابلتى الليلة . وقطاره
يصل فى الساعة العاشرة

ونظر فى ساعة معصمه ، ثم قال :

— وهو معروف باسم المكسيكى الأمري

— لماذا ؟

— لأنه امرد ولأنه مكسيكى

— هذا تفسير مقنع للغاية

— وسيخبرك بنفسه عن كل ما يتصل به . لأنه ثرثار . وقد
التقيت به وهو فى حالة افلاس تام . ويظهر أنه كان مشتركا فى
أحدى الثورات بالمكسيك واضطر للفرار وليس عليه سوى ثوبه ،
فر بجلده لأن ثوبه كان شيئا لا يستحق الذكر حين قابلته . وإذا

أردت ان تظفر برضا، فيجب ان تناديه دائما بلقب جنرال . وهو يزعم انه كان جنرالاً في جيش هورتا ، وان الامور لو سارت على ما يرام لأصبح وزيراً للحربية هناك ، ولا أدري ماذا من عظام الامور، وقد الفيته نافعاً جداً لنا . ولا اكره فيه شيئاً سوى استخدامه للعطور

— وما علاقتى أنا بموضوعه ؟

— انه مسافر الى ايطاليا . فقد كلفته هناك بمهمة شائكة . واريد منك ان تكون بقربه . لأنى لست حريصاً على انتمائه على مبلغ كبير من المال فهو مقامر وشديد الولع بالفتيات . وانك جئت من جنيف بجواز سفر باسم اشندن ؟

— أجل

— لقد أحضرت لك معى جواز سفر دبلوماسياً باسم سومرفيل وعليه تأشيرات دخول فرنسا وايطاليا . وأظن من الأفضل ان تسافرا معا . وهو رقيق مسل ، واعتقد انكما يجب ان تتعارفا

— وما هى المهمة بالضبط ؟

— لم يستقر رأيي بعد على المدى الذى يستحسن ان تعرفه عن هذه المهمة

ولم يجب اشندن . وتبادلا نظرات جامدة خالية من الارتباط ، كأنهما غريبان يجلسان معا في عربة قطار وكل منها يسأل نفسه عن الآخر ، أى صنف من الرجال هما يكون ؟

وبعد برهة قال الكولونيل :

— لو كنت فى موضعك لتركك الجنرال يتحدث طول الوقت عن نفسه كما يشاء . فلن أخبره عنك أكثر من المعلومات الضرورية جداً . وسوف لا يتطفل عليك بأسئلة لأنه على نوع معين من التهذيب على طريقته الخاصة

— وما هو اسمه الحقيقى ؟

— أنا دائماً أناديه مانويل . ولا أظنه يستسيغ ذلك كثيراً . فاسمه مانويل كارمونا

— يخيل الى مما تحاشيت ذكره منه انه وغد مريق

فابتسم الكولونيل بعينه الشاحبتى الزرقة وقال :

— لا أظننى اذهب معك الى هذا الحد . والواقع انه لم يتعلم في مدارس محترمة ومبادؤه في الرياضة وفي التعامل ليست مثل مبادئى ومبادئك . فلا أستطيع ان اترك وانا مطمئن علبة سجائر من الذهب وهو موجود بالقرب منها . ولكنه اذا خسر امامك نقودا في البوكر ، وكان قد سرق علبة سجائر الذهبية فلن يتردد في رهنها كي يؤدى لك دين الشرف . ولن يفلت اقل فرصة لافواء زوجتك ، ولكنه اذا وجدك في ضيق اقتسم معك اللقمة التى في فمه . وتجري دموعه متوارا على خديه اذا سمع اغنية مثل « اتنا نضمك يا ام النور » . ولكنك اذا اهنت كرامته فلن يتردد في قتلك غير آسف . ويظهر انهم في المكسيك يعتبرون مرور شخص بينك وبين شرايك اهانة كبيرة . فقد اخبرنى مرة ان هولنديا لا يعرف ذلك التقليد مر بينه وبين البار فاخرج مسدسه في الحمال وقتله بالرصاص !

— ولم يعاقب ؟

— كلا . اذ يظهر انه ينتمى الى اسرة من اكبر الاسر هنالك . فسويت المسألة ونشر في الصحف ان الهولندى اتحر . وهذا هو الواقع تقريبا لان المكسيكى الامرد لا يقيم وزنا كبيرا للحياة البشرية فاجفل اشندن وادرك ان رئيسه لم يقل له ذلك الكلام اعتبارا وسكت الكولونيل برهة ، ثم قال :

— وما اكثر الهراء الذى قيل عن قيمة الحياة البشرية في الواقع . فالقائد في المعركة لا يعتبر الرجال اكثر من ارقام . وليكون ايله اذا سمح لنفسه بالنظر اليهم نظرة عاطفية باعتبارهم بشرا

— ولكن البشر ليسوا مجرد ارقام !

— ليس هذا موضوعنا . المهم اننا تلقينا معلومات تفيد ان رجلا يسمى قسطنطين اندريادى قادما من استنبول ومعه وثائق معينة تريد الحصول عليها . وهو يونانى من اعوان اتور باشا . ودنور باشا فيه ثقة كبيرة . وقد حملة رسائل شفوية على درجة كبيرة من السرية والخطورة بحيث لا يمكن تسجيلها على الورق . والرجل ابخر من ميناء بيريه في اليونان فوق سفينة اسمها عتاقة وسينزل في برنديزى ليتجه الى روما ، وسيسلم الوثائق في السفارة الالمانية ،

وببلغ السفير رسالته السفوية

ـ فهمت

وقد كانت ايطاليا في ذلك الوقت لم تزل على الحياد . والجهة
المعادية تبذل كل جهدها كي تبقىها على الحياد . اما الحلفاء فكانوا
يبدلون كل ما في وسعهم كي ينضم اليهم

ـ ونحن لا نريد ان يحدث اى اضطراب بيننا وبين السلطات
الايطالية لان ذلك قد تكون له نتائج خطيرة جدا . ولكننا يجب ان
نمنع اندريادى من الوصول الى روما
ـ باى ثمن ؟

فافترت شفتا الكولونيل عن ابتسامة ساخرة ، وقال :

ـ المال ليس عقبة على كل حال في سبيلنا

ـ ماذا تقترح ان نفعل ؟

ـ لا اظنك بحاجة الى شغل ذهنك بهذا السؤال

ـ ولكن لى مخيلة خصبة

ـ اريد منك ان تذهب الى نابلى مع المكسيكى الامرد . وهو شديد
اللهاة على العودة الى كوبا . فاصحابه فيما يظهر ينظمون هناك
حركة عسكرية وهو يريد ان يكون اقرب ما يمكن من المكسيك لينزل
ارضها في اللحظة المناسبة ، وهو بحاجة الى المال . وقد احضرت
مبلغا كبيرا من الدولارات الامريكية معى ، ساسلمه لك الليلة
لتحتفظ به في جيبك . وهى مجموعة من ذات الالف دولار تسلمها
للمكسيكى الامرد فى مقابل الوثائق التى يحملها اندريادى

ـ وهل يدري ذلك المكسيكى ما هو مطلوب منه بالضبط ؟

ـ بالضبط

وفى هذه اللحظة سمع طرق على الباب ثم فنج ووقف امامهما

المكسيكى الامرد :

ـ ها قد حضرت . طاب مساؤك يا كولونيل يسعدني ان اراك

فنهض الكولونيل وقال :

ـ هل كانت رحلتك لطيفة يا مانويل ؟ هذا هو مستر سومرفيل

الذى سيصحبك فى السفر الى نابلى . . . الجنرال كارمونا .

وشد على يد اشندن بقوة حتى كاد يصرخ :

— لك يدان من فولاذ يا جنرال
فنظر المكسيكى الى يديه ، ثم قال :
— لقد ظليت اظافرى اليوم ولكن الغلاء لا يعجبني
وكانت الاظافر مقصومة جيسدا ومظلية باللون الاحمر وتلمع
كالرايا

ومع ان الجر لم يكن باردا فقد كان الجنرال يرتدى معظما من
الفراء الاستراخان الفاخر . وكلما تحرك حركة بسيرة هبت موجة
من العطر فملات انفك . وقال الكولونيل له :
— اخلع معطفك يا جنرال واشعل سيجارا

وكان المكسيكى الامرد رجلا طويل القامة اميل للنحول ، الا انك
تحس بما له من قوة بدنية خارقة . وبدلته الانيقة زرقاء اللون
يتدلى من صدرها منديل حريري اتيق ، وفي معصمه سوار ذهبي .
وملامحه اكبر من المعتاد وعيناه عسليتان لامعتان . ولكنه امرد
تماما . وجلده الاصفر ناعم كبنرة المرأة . وليست له حواجب ولا
رموش . وفوق رأسه شعر مستعار طويل له خصلات على طريقه
الفنانين . فكان منظره المتناقض مغزعا مضحكا سخيفا . ولكنه
يستلغف نظرك ويستهوئك بغرابة منظره واناقة

وجلس الجنرال بعد ان رفع سرواله حتى لا يتكسر ولا ينبعج
عند الركبتين . ثم قال له الكولونيل في مزاح ساخر :

— خبرني يا مانويل : هل حطمت كثيرا من القلوب اليوم ؟

فالتفت الجنرال نحو اشندن وقال :

— ان صديقنا الفاضل الكولونيل بحمدنى على نجاحى المستمر
الجنس اللطيف . وانا اقول له دائما انه يستطيع ان يحظى بمثل
نجاحى لو انه استمع لنصائمي . فالتقة هي الشيء الوحيد الذى
تحتاج اليه مع النساء . ومادمت لا تخاف الصد فثق انك لن
تجد الصد .

فقال الكولونيل :

— هراء يا مانويل . فلا بد ان تكون للمرء أساليبه الخاصة مع
الفتيات . فهذاك شيء فى شخصك لا تستطعن مقاومته
فضحك المكسيكى الامرد راضيا عن نفسه بشير مواربة . وهو

بنكلم الانجليزية باحاده تامه ، ولكن بلكنه اسانيه . وقال :
- اما وقد سألني يا كولونيل عن عدد القلوب التي حملتها
الرم فلا أبالي ان أخبرك اني بجاذبت حدا طويلا في القطار مع
امراة ضسكلة الحجم . كانت قادمة لزيارة حماسها في ليون . ولم
نكن صغيرة السن حدا . وجسمها انحف مما يروق لى في النساء .
ولكنها كانت معبولة . وقد اعانت على ارجاء ساعين من الزمن
بأسلوب لطيف

فقال الكولونيل مغيرا موضوع الحديث :

- والآن لنشرع في العمل

- انا في خدمتك يا كولونيل . وهل المستر سومرفيل رجل
عسكري ؟

- كلا . انه مؤلف

- الدنيا تسع لنتي صنوف الخلق . وانا سعيد بمعرفتك يا
مستر سومرفيل واستطيع ان اقص عليك حكايات كثيرة تسير
اهتمامك . وانا وانق انا سنتألف . فلك ظل خفيف . وانا شديد
الحساسية لخعة الظل . والحق اقول لك اني عبارة عن حزمة من
الاعصاب . فاذا جمعتنى الظروف بنسخ منفر ثقيل الفل انقلت
زمام اعصابى !

- آمل ان نحظى برحلة لطيفة

وعندئذ التفت المكسيكى الى الكولونيل وقال :

- متى يصل صاحبنا الى برنديزى ؟

- موعد ابجاره من بويه على السفينة عتاقة في اليوم الرابع
عشر من الشهر . ويسنحسن ان نكون في برنديزى لانتظارها

- انا متفق معك في هذا

وقام الكولونيل فجلس على حرف المنضدة ويده في جيبه .
فبدا في سرته العسكرية المشعنة العتيقة على تقيض صاحبنا
المكسيكى في اناقته المفرطة . وبدا يلقي تعليماته :

- مستر سومرفيل لا يعرف شيئا تقريبا عن المهمة التي عهدنا
بها اليك . ولا احب ان تخبره باى شيء . وانفضل ان تسترشد
بارائك الخاصة وفراستك . ولديه تعليمات ان يسلمك الاموال

التي نحتاج اليها في عملك . ولكن العمل نفسه من شأنك وحدك .
وإذا احتجت عند الضرورة القسوى لاستشارته ، فلا بأس
- فلما اسأل احدا النصيح . ولا آخذ ابدا بنصح أحد
- وإذا اضطرت الامور فانا واثق انك ستبقى مستر سومرفيل
بמידا عن الموضوع كلية . فيجب بأي شكل الا بزج به في مازق
فقال المكسيكي الامر د باباء وشمم :

- انا رجل شريف ياكولونيل . وخير لي ان يمزقوني اربا من ان
اشي باصدقائي

- وهذا ما قلته لمستر سومرفيل عنك . وقد اصدرت اليه
التعليمات ايضا في حالة نجاحك في مهمتك نجاحا كاملا ان يسلمك
المبلغ المفق عليه في مقابل الاوراق التي حدثتك عنها . اما الوسيلة
التي ستحصل بها على تلك الاوراق فليست من شأنه
- هذا امر مفروغ منه . ولكن هناك موضوعا واحدا احب ان
اجلوه تماما . فانا حريص ان يفهم مستر سومرفيل انني لم اقبل
هذه المهمة التي عهدتم بها الي من اجل المال
فقال الكولونيل بجهد تام :

- هو يفهم هذا تمام الفهم

- انا مع الحلفاء روحا وجسما . لاني لا استطيع ان اغتفر للامان
خرقهم لحياد البلجيكي . واذا قبلت المال الذي عرضتتموه على
فذلك لانني وطني مخلص قبل كل شيء . هل استطيع ان اثق في
كتمان مستر سومرفيل ؟

قاوما الكولونيل براسه وعندئذ التفت المكسيكي الى اشندن :
- هناك حملة تجهز لتحرير وطني المنكود من ايدي الطغاة الذين
يستغلونه ويخربونه . وكل بنس انقضاءه سينفق في شراء السلاح
الدخيرة . اما انا شخصا فلا حاجة بي الى المال . فانا جنسدي
واستطيع ان اعير على لقمة جافة وحفنة من الزيتون . وليست
لي في الحياة الا ثلاثة مشاغل تليق بالسيد المهذب : الحرب ولعب
الورق والنساء . ولا يتكلف الانسان شيئا كي يحمل بندقيته على
كتفه ويلوذ بالجبال . فالحرب عندنا حرب عصابات حقيقية لا مثل
حربكم بالفرق والمدافع . واما النساء فيحبيني لشخصي بغير نظر

الى المال . اما لعب الورق فانا اربح فيه في معظم الاحيان
وتعمر اشندن باستلطف شديد لهذا المخلوق المنعرج المزخرف
المعطر الذي يتشدد بالتعسف . اجل هو مضحك في سخافته تفكيره
ولكنه لا يوحى اليك انه رحل بسنهان به . فنقته بنفسه لا تخلو من
مهارة وفحامة

— واين حقيبتك يا مانويل ؟

— تركها في المحطة

— مسنر سومرفيل يحمل جواز سفر دبلوماسيا . ففي استطاعته
ان يضم حقيبتك الى حقيبته عند الحدود حتى لا تخضع للتفتيش
— ليس في حقيبى الا اشياء قليلة جدا . عدد من البدل وملابس
داخليه وقمصان . ولكن قد يكون من المستحسن ان يتفضل مسنر
سومرفيل بالاهتمام بحقيبتى . فقد اشتريت استى عنزة بيجامة
حريرية من باريس واخشى ان يتفاوضوا عليها رسوما
ونظر الكولونيل الى اشندن ، وسأله قائلا :

— وماذا عنك انت ؟

— عندي حقيبة واحدة في حجرتى

— يحسن ان نرسلها الى المحطة لان قطاركما يقوم في الواحدة
وعشر دقائق بعد منتصف الليل

وكانت هذه اول مرة يسمع فيها اشندن انه سيسافر هذه
الليلة . ولكنه لم يزد على ان قال :
— وهو كذلك

ونفض الكولونيل واقفا وهو يقول :

— ساوى الى فراشى . ولا ادري ماذا تريدان ان تصنعا في المدة
اليافية

فقال المكسيكى الامرء :

— سأتمشى في ليون . فانا احب الناس . اعرضنى مائة فرنك
يا كولونيل من فصلك فليست معى « فكة »

فاخرج الكولونيل حافظة نقوده واعطى الجنرال المبلغ الذى طلبه
ثم التفت الى اشندن ، وسأله :

— وانت ماذا صنع اهل بسنظر هنا ؟

— كلا . سأذهب الى المحطة وأجلس في الاستراحة للقراءة
— يستحسن أن تشربا كأسا من الويسكى بالصودا قبل انصرافكما
ما رأيك في ذلك يا ماتويل ؟
— هذا كرم منك يا كولونيل . ولكنى لا اشرب الا الشمبانيا
والبراندى

قامر الكولونيل باحضار البراندى والصودا . وصب كل من
اشندن والكولونيل لنفسه كأسا . اما المكسيكى الامرد فملا كوب ماء
من ذلك البراندى الفاخر وشربه صرفا في جرعتين ! ثم نهض واقفا
ولبس معطفه المصنوع من الفراء . ثم تناول قيمته السوداء يسراه
ومد يمينه الى الكولونيل قائلا :

— اتمنى لك يا كولونيل ليلة طيبة واحلاما سعيدة . ولست
اتوقع ان نلتقى في وقت قريب

— لا تفسد الامور يا ماتويل . وان افسدتها اطبق فمك

— قيل لى انه في احدى كلياتكم التى يتدرب فيها أبناء الاشراف
على أن يكونوا ضباطا في البحرية توجد حكمة مكتوبة بحروف من
ذهب وهى : « لا وجود لكلمة المستحيل في البحرية البريطانية » .
وانا أيضا يا كولونيل لا اعرف معنى كلمة الفشل
— هذه كلمة لها مترادفات كثيرة على كل حال

فأعرض الجنرال عنه وقال لاشندن وهو منصرف :

— سألتقى بك في المحطة يامستر سومرفيل

وبعد انصرافه نظر الكولونيل الى اشندن وهو يتنسم ابتسامته
المهودة التى تنبئ عن دهاء شديد وسأله :
— والان ما رأيك فيه ؟

— انه مغرور كالطاووس . فهل حقا يلقي نجادا مع النساء بمنظره
هذا المرعب ؟ وما الذى يجعلك تشق به ؟

فضحك الكولونيل وجعل يفرك راحتى يديه في حركة اغتسال
وهيمية :

— ظننتك ستحبه . فهو شخصية طريفة . اليس كذلك ؟ واظن
انه في وسعنا أن نشق به . سأعطيك الآن تذكرتى السفر والنقود كي
تنصرف لانى أريد أن انام

وبعد عشر دقائق كان اسندن في طريقه الى المحطة وحقيبه الوحيدة فوق كتف حمال . وكان باقيا امامه اكثر من ساعتين ، فجلس في معمد وثير بحجرة الانتظار ، والاساءة بها جيدة وترع بطالع روية . ولما امثرب موعد وسول القطار من باريس كي يثلهما مباشرة الى روما ولم يطهر للمكسيكي الامر انر بدأ اسندن بشهر بالعلق وخرج الى افريز المحطة لبحث عنه

واعطت الاشارة بقرب قدوم قطار روما السريع ولا امر للمكسيكي الامر ايضا . ووسل القطار الى المحطة ولم يوصل المكسيكي فاسواى الفرع على اسندن . فآخذ يروح ويجيء وهو بثلقت كالمجنون على غير طائل

ولم تكن في القطار عربات نوم . فاحتل مقعدين في الدرجة الاولى ثم وقف في السافدة سجيل نظره في الناس ثم يتظر الى ساعة المحطة . ولما كان السفر من غير رفيغه لا فائدة منه فقد قرر اسندن ان يفادر القطار بحقيبه بمجرد صدور الاشارة للقطار بالحرك

وبقيت ثلاث دقائق . ثم دقيقتان . ثم دقيقة . واصبح افريز المحطة خاليا تقريبا . واذا به يرى المكسيكي الامر فادما يتبعه حمالان معهما حقائبه . وفي صحبته رجل بدين . وهو يسمى متبخترا . ولحق اسندن فلوح له بيده ، ثم قال بصفاقه :

— اهنا انت ايها العزيز ؟ لقد كنت اتساءل ماذا حدث لك ؟

— يا الهى ! أسرع يا رجل والا فاتك القطار !

— اطمئن . فانا لا يفوتنى القطار ابدا . هل حصلت على مقعدين طبيين ؟ ان ناظر المحطة في الراحة ، وهذا نائبه

ورفع الرجل البدين قبعته تحية لاسندن . ثم اسطرد المكسيكي :
— ولكن هذه عربة عادية . واخشى انى لا استطيع ان اسافر فيها . ولا شك انك تستطيع ان تدبر لى شيئا خيرا من هذا ابها العزيز

فأسرع نائب الناظر البدين بالانحناء ، قائلا :

— بالطبع ياسيدى الجنرال . سأدبر لك صالونا خاصا

واخذهما الرجل الى صالون خاص يصلح مقعداد الكيران سريرين . وأبدى المكسيكى ارتياحه وسمح للحمالين بترتيب حقائبه

ثم مد يده فصافح نائب الناظر ، وهو يقول له :
- لن اتسالك . وفي اول فرصة ارى فيها الوزير سأحدثه عن
اهتمامك براحتي

- هنا كرم منك يا جنرال . وساكون مدينا لك بالشكر
ونفخ الرجل في سفارته فقام القطار . وعندئذ انفجر اشندن :
- لماذا تأخرت حتى الثانية الاخيرة ؟ ماذا يكون من امرنا لو اننا
لم ندرك هذا القطار ؟

- يا صاح ! لم يكن هناك اقل احتمال لعوات القطار . فعند
وصولي من باريس هذا المساء قلت لناظر المحطة اننى الجنرال
كارمونا القائد العام للقوات الكسيكية المسلحة . واننى ساقضى هنا
في ليون بضع ساعات اعقد فيها مؤتمرا مع ماريشال انجليزى .
وطلبت منه ان يحجز لى القطار اذا تأخرت بضع دقائق . ولحقت
الى ان حكومتى قد تفكر في الانعام عليه بوسام . ولما كنت قد
مرت بليون من قبل وأعجبتنى فتياها وان كن لسن كفتيات
باريس ، فقد أحببت ان استمتع بهن الى آخر دقيقة . والآن هل
لك في جرعة من البراندى قبل ان تنام ؟
- كلا واشكرك

- كما تحب . انا دائما أشرب كوبا من البراندى قبل النوم كي
يهديء اعصابى . فانا حزمة من الاعصاب كما قلت لك

وفتح احدى الحقائب وأخرج منها زجاجة رفعها الى فمه
وشرب منها جرعة كبيرة ثم مسح شفثيه بظهر يده واشعل سيجارة
وخلع حذاءه وورقه ، فاطفا اشندن المصباح الكبير وترك نورا خافتا .
وساد الصمت لحظة ، ثم قال المكسيكى الامرء :

- لم يستقر رأيى حتى الآن ايها امتع لى : ان انام وعلى رفى
قبيلات امرأة حسناء ام سيجارة ؟ هل ذهبت الى المكسيك ؟
سأحدثك عن المكسيك غدا . طابت ليلتك

وسرعان ما سمع اشندن تنفسه الثقيل المنظم فأدرك انه نام .
وبعد قليل اغفى اشندن . وبعد قليل استيقظ على وتوف القطار
وقوقا مفاجئا ، وفي لمح البصر كان المكسيكى واقفا ومسدسه في يده ،
وهو يصيح :

— ما هذا ؟

- لا شيء . ربما كانت إشارة بأن الطريق مسفول
فهاوى المكسيكى على فراشه واضاء أشندن التور ، وقال :
— أنك تستيقظ بسرعة رغم نومك العميق
— لا بد من هذا في مهنتي

وكان على لسان أشندن أن يسأله عن هذه المهنة اهي القتل ام
التأمر ام قيادة الجيوش . ولكنه أمر السلامة . وفتح الجنرال
حقيبتيه وأخرج الزجاجاة . وبعد أن عزم على أشندن بجرعة
ورفضها ، رفع الزجاجاة الى فمه وصب منها في حلقه كمية كبيرة
من البراندى ثم أشعل سيجارة وهو يتنهد . ودهنس أشندن لانه
على الرغم من كميات السراب الضخمة كان يبدو مفيضا تماما ، لا يبدو
عليه انه نرب طول الليل سوى عصر الليمون !

وبعد قيام القطار نام أشندن . وعندما استيقظ في الصباح
وتقلب في فراشه وجد المكسيكى مستيقظا يدخن سيجارة .
والارض تحت قدمه مفروشة بأعقاب السجائر وقد نلبد جو الغرفة
بالدخان الازرق . وكان قد رجا أشندن أول الليل الا يفتح النافذة
بحجة ان هواء الليل خطر على الصحة . ونهض الرجل الى الحوض
الملحق بالديوان فجعل يغسل أسنانه ويتفرغر بصوت عال . ثم
أخرج من حقيبتيه زجاجة كولونيا صب منها قليلا فوق منسفة
وجعل يدلك بها وجهه ويديه . ثم تناول مشطا ونسق به شعره
المستعار في عناية . ثم استخرج زجاجة من العطر ذات مضخة
رناشة وضمخ بها قميصه ومنتدله ، ثم التفت الى أشندن :

- انا الآن على أتم استعداد لمجابهة العالم اجمع . استعمل
لغسيل وجهك هذه الكولونيا فهي من احسن منتجات باريس
— شكرا لك . لا احتاج لغسيل وجهي الا للماء والصابون
— ماء ؟ انا لا استعمل الماء الا في الاستحمام . فهو يفسد بشرة
الوجه

وقرب الحدود تذكر أشندن المسدس الذي رآه عند وقوف
القطار في يد الجنرال فأخذه منه لانه يفضل جواز السفر الدبلوماسي
معنى من التفتيش ، وعندئذ قال الجنرال :

— سأعطيك أيضا مديتي . فالمدية هي سلاحى المفضل . لانها سلاح أتيق . أما المسدس فيستطيع ان يستعمله أى ابله وبحركات خاطفة خيل لاشندن انها حركة واحدة فك ازرار صدره وأخرج من حزامه مدية طويلة فظيعة الشكل قدمها الى اشندن فخورا وهو يقول :

— انها من خير انواع الصلب فى العالم . شغرتها حادة كشفرة موسى . وقوية كالخنجر . تستطيع بها أن تقطع ورقة سيجارة أو تسقط شجرة بلوط على السواء . وتبدو وهي مقفلة كمدية تلاميذ المدارس .

— هل معك اسلحة اخرى ؟

— ليس سوى يدي . ولكن رجال الجمرى لن يرتابوا فيهما وعندئذ تذكر اشندن قوة قبضته عندما صافحه اول مرة فسرت الرعدة فى جسده . وكانتا يدين مريضتين طويلتين ناعمتين . لا اثر على ظهريهما ولا على العصمين للشعر . أما الاظافر فمقصوفة قصا مديبا اتيقا ومطلية باللون الالامع ، ومع ذلك ففيها شئ مخيف



المرأة السمرية

وعند وقوف القطار للتفتيس في الحدود تجاهل كل من الجنرال كارمونا واشندن صاحبه ، وبعد استئناف السير أعاد اشندن الى المكسيكى الامرد المسدس والمديية . فتنهد الجنرال قائلا :

— الآن اشعر بمزيد من الارتياح . وما رايتك في ان تلعب الورق لنعضية الوقت ؟

— لا مانع عندي

ففتح المكسيكى الامرد حقيبته مرة اخرى واستخرج من احد اركانها أوراق اللعب . وكان الورق الذى بيد اشندن جيدا ولكن الجنرال كان يكسب دائما . وفتح اشندن عييه تماما لانه اعتقد ان خصمه من الجائز ان يعمد الى الغنى ، ولكنه لم يكتشف شيئا يدل على ذلك . واستمرت خسارته دورة بعد دورة . وتكدست هذه الخسائر الى ان قاربت الالف فرنك ، وهو مبلغ كان يعتبر حينئذ غير صغير . وكان الجنرال يدخن باسمرار سجائر لا تحصى يلفها بنفسه بحسرة من اصبعه ، ولعقسة من لسانه ، في سرعة لا يتصورها العقل . وأخيرا استلقى في مقعده وساله :

— بهذه المناسبة يا صديقى ، هل تدفع الحكومة البريطانية لك خسائرک في لعب الورق حين تكون في مهمة رسمية ؟

فقال اشندن باستغراب :

— كلا بالطبع

وعندئذ قال الجنرال بوقار :

— اذن في هذه الحالة أعتقد أنك خسرت ما فيه الكفاية . ولو ان خسائرک كانت تضاف الى حساب نفقاتك الرسمية لاقترحت عليك

ان تستمر في اللعب الى ان تبلغ روما . ولكنك شخص ظريف
خفيف الظل ولا أريد ان أربح المزيد من نقودك الخاصة
ثم جمع اوراق اللعب ونحاها جانباً . وأخرج أشندن حافظه
نقوده واستخرج منها بضعة أوراق مالية قدمها الى المكسيكي
فأحصاها ثم وضعها بعنايته المعهودة في حافظته . ومال الى الامام
وريت على ركبة أشندن :

— اني احبك فانت مواضع وغير متكلف وليست فيك عجرفة
مواطنيك . وانا واثق انك ستتقبل نصيحتي لك بالروح التي أملتها
على . لا تلعب الورق بعد اليوم مع أشخاص لا تعرفهم !
فشعر أشندن بالخزي ولعل ذلك ما ظهر على وجهه فقد تناول
المكسيكي يده وهتف قائلاً :

— هل جرحت شعورك يا عزيزي ؟ ماكنت لا قدم على ذلك لاي
سبب من الاسباب . وانا أشهد الحق انك لا تلعب الورق أسوأ
من معظم الالهيين . فليس الذنب في الخسارة ذنبك . ولو أننا كنا
سنبقى مدة أطول معا لعلمتك كيف تكسب في اللعب . فالانسان
انما يلعب الورق كي يكسب مالا ، فليس للخسارة معنى
فضحك أشندن ضحكة نجة ، وقال :

— كنت اظن انه في الحب والحرب فقط تكون جميع الوسائل
جائزة !

بصحك الجنرال وقال :

— يسعدني ان أراك تبتم . فهكذا يجب ان يتقبل الانسان
الخسارة . واني ارى الآن انك رجل ذو عقل وذو فطنة ، وتحسن
تقبل الامور بصدر رحب، ولذا ستبلغ في الحياة مبلغاً حسناً .
فهذه ادوات الوصول الصالح . وعندما أعود الى المكسيك ، واسترد
ممتلكاتي وضياعي ، يجب ان تأتي للاقامة معي هناك . وسوف
استضيفك في مستوى ملكي ، فتركب افضل جيادى وسنذهب
الى مصارعة الثيران معا . واذا راققت في عينيك فتيات فما عليك
الا ان تقول كلمة واحدة حتى يكن طوع امرك !

وشرع الجنرال يروي لاشندن أمر الممتلكات الزراعية الشاسعة
والحصون والمناجم التي يملكها في المكسيك والتي صادرها اعداؤه .

وحداه عن الإبهة الاقطاعية التي كان يعيش فيها . ولم يكثر
أشدن هل كان ما يقوله الجبال صدقا أو كذبا . فحسبه ان
مباراة الرنائه كانت متقلة بنمار الجبال ومعطره بأريج الاسطورة
كانت صورة رومانية رائعة . لانه في الواقع كان يصف حياة
باذخه ، كأنما تنتمى الى عصر آخر من عصور البشرية . وكانت
اشارات يده من البلاغة في التعبير بحيث تمد أمام عين العقل آفاقا
بأسرها من المراعى الخضراء والرياض الياضعة والجبال التي تغطي
سفوحها العبابات وتعطي قممها التلوج ، حتى اذا جنحت الشمس
للمعيب امتلأت الربى بقطمان لا يحصيها العدد من الماتية عائدة الى
المزاود . وفي الليالي القمرية يتهادى النسيم معطرا بأريج الارض
الخصبة ، وغناء المرثمين على نغمات الجيتار يسكر أعطاف الليل . .

... كل هذا حسره يا صاحبي . خسرت كل شيء وفرت
بحياتي الى باريس . وهناك اضطررت ان اكسب قومي بإعطائه
دروس في اللغة الاسبانية للأمريكيين . او بمصاحبتهم لادلهم على
أماكن المتعة واللهو في أزقة باريس . واذا انا الذي كنت أنفق ألف
+ دوروس « على غدائي او عشاءي ، قد ديت أستجدي خبري كأنني
هندي أحمر انمي . وأنا الذي كنت أجد لذتي في تزيين معصم امرأة
حسنة سوار من الماس النعيم ، اضطررتي الحاجة الى قبول بدلة
جديده من خبزبوت أكبر من أمي . ولكن صبرا ايها الصديق .
فالعسر لا يدوم ، وقد حان الوقت الذي نضرب فيه صربتنا

ثم تناول أوراق اللعب واخذ يرتبها في سعوف وهو يقول :

— فلتر ماذا تقول الاوراق . فالورق لا يكذب . آه لو انني
آمنت بالورق ايمانا كاملا كما ينبغي ؟ اذن لكجنت الاقدام على
العمل الوحيد في حياتي الذي فعلت وطاقته على نفسي . ان ضميري
مستريح فقد فعلت ما كان أي رجل حريا ان يفعله في مثل ظروفي ،
ولكنني آسف لان الضرورة الجاتني الى اتيان عمل كنت اتمنى لو
تجنبته ! لقد حذرني الورق وانذرني . اني لا اتكر انك فقد كان
التحذير واضحا عاطما . اظهر لي الورق الحب وامرأة ستمراء
والخطر والخيانة والموت في مجموعه واحدة . وكان ذلك واضحا
نراه كما أرى الانف الذي في وجهك . واي ابله كان حريا ان يدرك

معنى ذلك التذير . فما بالك وأنا الرجل الذى تعود طول حياته على استعمال الورق . فلا يكاد يوجد عمل أقدم عليه من غير أن استشير الورق . فلا عذر لى . . . انكم يا أبناء الشعوب الشمالية لا تعرفون ما هو المعنى الحقيقى للحب . لا تعرفون كيف يدود النوم عن العين ، وكيف يدود الشهية للطعام حتى يدوى المرء كأنه صريع الحمى . لا تعرفون كيف يستولى الجنون على المحب حتى لا يبالي بشيء فى سبيل اطفاء رغبته الجامحة . ورجل مثلى حرى ان يقدم على اية حماقة او اية جريمة اذا احب . أجل يا سنيور ! وخليق أيضا بدافع الحب ان يقدم على أعمال البطولة . فأينما يوجهه الحب يتجه علوا او دنوا . يجتاز جبلا أعلى من أقرست ، ويمر بحارا أعنى من الاطلنطى . يمسى الها او شيطانا كيفما يشاء له الحب . وكانت النساء دائما آفتى !

ومرة اخرى اخذ المكسيكى الامرد ينظر فى الاوراق ببسسطها وينسقاها . يتناول بعضا ويترك بعضا آخر

— لقد احببتنى اعداد لا تحصى من النساء . ولست اقول ذلك للتفاخر ، وليس عندى تفسير لذلك ، فهى مسألة واقع وكفى . اذهب الى مدينة المكسيك وسل الناس هناك عما يعرفون عن ماتويل كرمونا وغزواته النسوية . سلهم كم امرأة استطاعت ان تصمد وتقاوم ماتويل كرمونا !

وكان أشندن يرقبه وقد قطب حاجبيه قليلا . فهو لا يدري هل المكسيكى الامرد مقتنع فعلا بسحره الذى لا يقاوم ، أم انه ماهر فى الكذب . . .

— هناك شيء اسمه القدر . . . وما من قوة على الارض تستطيع ان تمحوه او تغيره . وأنا رجل شجاع ، ومع ذلك تملؤنى الرهبة امام الورق الذى يحمل لى تذير القدر . . .

وكانت قد بقيت فى يده أربع ورقات مقلوبة جعل يتحسس ظهورها ولا يجسر على كشفها وقد ارتسم على وجهه قلق لا يحاول أن يخفيه

وماد يقول :

— هذه الاوراق الاربعة تحمل كلمة القدر . وأنا ارتعد امامها

وفجأة نضر وجهه وسال اشتدن :

- ماذا كنت افول لك ؟

- كنتُ تقول لى ان النساء يحدن سحرك لا يقاوم

- فعلا . ولكنى التقيت بامرأة واحدة قاومنى . رأسها أول مرة لى بيت من بيوت اللهورى مدينة المكسيك . كانت تهبط السلم وأنا اصعده . ولم تكن جميلة للغاية ، فقد حظيت بمئات من النساء اجمل منها . ولكن كان فيها شيء ما استلقت نظرى . ففلت للمرأة المعجوز التى تدبر ذلك البيت أن تبعث بها الى . وهذه المرأة المعجوز ستعرفها حتما عندما تذهب الى مدينة المكسيك . فهى أشهر مديرات بيوت اللهورى ويسمونها هناك المركيزة . وقالت لى المركيزة ان هذه الفتاة ليست من الفتيات فى الدار ، ولكنها عضو منسبة تأتى بين الحين والحين لاهتمام خلاصة ، ونصرف الى بيتها . فطلبت منها ان تستدعيها فى المساء التالى ولا تسمح لها بالانصراف الى ان احضر . ولكنى فى الليلة التالية تأخرت ، وعندما وصلت أخبرتني المركيزة ان الفتاة قالت لها انها لم تعود الانظار وانصرفت . وأنا رجل منساح لا أبالى أن تتدلل المرأة فى بعض الاحيان ، فهذا جزء من سحرهن الخاص . ولذا ضحكت وأرسلت الى الفتاة ورقة من ذات المائة دوروس ، ووعدت ان آكون فى الموعد المحدد بالضبط فى اليوم التالى . ولكن عندما ذهبت مبكرا فى اليوم التالى ردت الى المركيزة المائة دوروس ، وقالت لى ان الفتاة لانشر نحوى بميل . فضحكت من وقاحتها ، وخلصت من اصعبى خاتما ماسيا ، وقلت للمركيزة ان تعطيها الخاتم وترى هل سيتغير رايها فى أم لا . وفى الصباح اتتني المركيزة مقابل خاتمي الماسى بورده حمراء . فلم ادر هل اضحك أم اغضب . وأنا لست معودا على الاستهانة بعواطفى . ولا اتردد فى اتعاق المال : فما نفع المال ما لم نبعثه على النساء الحسان ؟ وقلت للمركيزة ان تذهب الى الفتاة وتخبرها انى سأعطيها ألف دوروس اذا تعست حتى تلك الليلة وسرعان ما عادت المعجوز بجواب الفتاة انها مستعدة للحضور على شرط ان اسمح لها بالعودة الى بيتها بعد انتهاء الفشاء مباشرة وفيلت الشرط وأنا امر كشفى لانى لم أعتقد انها جادة . وظننت انها

تقول ذلك كى تزيد من رغبتى فيها . وحضرت الفتاة لتناول العشاء فى دارى . هل قلت لك أنها لم تكن جميلة ؟ لا تصدقنى ؛ لقد كانت اجمل وأقن امرأة قابلتها فى حياتى . سحرتنى . كانت فائسة ظريفة حاضرة اليدوية ، لها كل سحر الاندلسيات . كانت جديرة ان تعبد ، وسألتها لماذا استهانت بى على تلك الصورة ؟ فضحكت هازئة ولم تجب . وحاولت استمالتها وبذلت فى ذلك غاية جهدى . ولكن ما ان انتهينا من العشاء حتى نهضت من مقعدها قائمة والقت على تحية المساء ايدانا بالانصراف . ففغرت فمى وسألتها الى اين هى ذاهبة ؟ فقالت انى وعدت بأن أتركها تنظر بعد العشاء مباشرة . وقد وثقت بى لانى رجل شريف يجدر به أن يفى بوعدى . واخذت اقنعها واتوسل اليها ، ثم ثرت ولكن الفتاة لم تقبل أن تحبنى من وعدى . وكل ماظفرت به هو ان تعذبى بالحضور فى الليلة التالية لتتعشى معى بنفس الشروط . وظللت سبعة أيام اعطيها كل يوم الف دوروس كى تتعشى معى ، وفى كل ليلة كنت انتظرها وقلبى فى حلقى . وأنا تلقى متوجس كأننى عاشق ميندىء ، أو مصارع ثيران يبرز امام الجمهور للمرة الاولى . وفى كل ليلة كانت تلاعبنى وتعبث بى ، وتبدى لى من فنونها ودلالها ما يشعل جنوبى حتى بت احبها حبا لا حد له . لم احبب مثله احدا من قبل ولا من بعد . لم أعد أفكر فى شيء سواها واهملت كل شيء وأنا الرجل الوطنى الذى يحب بلاده . وكنا مجموعة صغيرة من الرجال استقر رأينا على الاطاحة بالطغيان الذى يسود وطننا . وكان يفيظنا أن جميع الوظائف الدسمة كانت لاصهار الطغاة وأقاربهم . وكنا تؤدى الضرائب مثل عامة الشعب ؛ ولا يقام لتسبنا العريق وزن ، وكنا نملك المال والرجال ، فاجكنا تدبيرنا ، وتأهبنا لتضرب ضربتنا . وكان على فى تلك الفترة ان اعقد الاجتماعات وادبر السلاح والذخيرة ، وأوصل الاوامر الى رجالنا السريين . ولكنى كنت مجنوننا بهذه المرأة فلم أستطع أن أحسن شيئا من تلك الامور . وكان من المفروض ان اسحط عليها لسخرتها منى . أنا الذى لم اجرب فى حياتى الحرمان من شيء اشتيته . ولم أصدق أنها تتمنع على لتزيد رغبتى اشتعالا ، بل صدقت أنها كانت صادقة عندما

قالت لي أنها لن تمنحني نفسها إلا إذا تأكدت من أنها تحبني
 وكانت تقول ان على أن أجعلها تحبني . كنت أظنها ملكا كريما ،
 وكنت مستعدا للانتظار والصبر ، وأنا واثق أن شدة حبي ستنتهي
 بإشعال الجذوة في قلبها . وأخيرا . . . أخيرا جدا قالت لي أنها
 أحببتني . فكان انفعالي بذلك النبا مروعا ، حتى خيل الي أنني
 سأخسر صريحا ! كدت أجن من الفرح ! وكنت مستعدا ان أنزل لها
 من كل ما أملكه في الدنيا . كنت قميئا أن انتزع النجوم من السماء
 لتزين بها شعرها . كنت أريد أن أفعل شيئا كي أبرهن لها على
 تجاوز حبي لجميع الحدود . كنت أريد أن أفعل المستحيل الذي
 لا يتصوره عقل ، كنت أريد أن أعطيها نفسي وروحي وشرقي وكل
 شيء . ولذلك وهي راقدة تلك الليلة بين ذراعي أخبرتها بمؤامرتنا
 وأشخاصنا الحقيقية وموعد التنفيذ . وشعرت بجسمها يتصلب
 من التيقظ والانتباه وهي تسمع ما أقول . ثم شعرت بكفها باردة
 جافة ، فاستولت على الشك وتذكرت على الفور ما أذرنى به الورق
 من اجتماع الحب وامرأة سمراء والخطر والخيانة والموت .
 والتصفت بصدري ، وقالت لي أنها تفزع من سماع تلك الامور ،
 ثم سألتني ان كان فلان وفلان من بين المتأمرين . وأجبتها لاني
 أردت ان أتحقق من ظني . وبدهاء لا حد له جعلت بين القبلات
 تستخلص مني التفاصيل . حتى أصبحت نتاكدا كتاكدي من
 جلوسك أمامي أنها جاسوسة من رئيس الجمهورية . وأنها مكلفة
 بالاستيلاء على لبي وهاملي ذي الان قد استخلصت مني جميع
 اسرارنا . لقد باتت حياتنا جميعا بين يديها وأيقنت أنها ان غادرت
 هذه الغرفة فسوف تقتل جميعا قبل مضي أربع وعشرين ساعة .
 كنت أحبها . ولن تستطيع الكلمات أن تصور لك عذاب الرغبة
 التي كان يحترق بها قوادي . وان حبا كذلك الحب لا لذة فيه .
 انه ألم . ألم رائع يسمو فوق كل لذة . انه ذلك القلق القدسي
 الذي يتحدث عنه القديسون عندما تستولي عليهم النشوة السماوية
 وأدركت أنها ينبغي الا تترك هذه الغرفة حية ، وخشيت ان تباطات
 في التنفيذ أن تخونني شجاعتي . . . وسمعتها تقول : « سأنام الان »
 فقلت لها : « نامي يا يمامتي » فقالت ، وهي تقبلني « يا حبة

فؤادى ومهجتى وحياتى « وكانت هذه آخر كلمات نطقت بها اد
سرعان ما اغمضت عينيها وبعد قليل ادركت من تنفسها
المنظم الذى يعلو به صدرها الناضج كفاكهة البستان ويهبط لصق
قلبي انها نامت . كنت احبها ولا اطيق ان تتالم . اجل انها
جاسوسة ، ولكن قلبي امرنى ان اجنبها هول ما استوجبه على
نفسها . ومن العجيب اننى لم اشعر بالغضب لانها خانتنى ، ولا
بالكراهية لوضاعة فعلتها . كل ماشعرت به ان روحي تسودها
الظلمة-الحالكة . واوشكت ان اتعجر باكيا رحمة بها ، وانا اجذب
ذراعى برفق شديد من حول حصرها . ونهضت معتمدا على يدي
ونظرت الى وجهها . ولكنها كانت جميلة جمالا مفرحا يعتمر القلب
فأشسحت بوجهي بعيدا وانا اغمد مديتى بكل فؤدى فى نحصرها
البيدع . ومن غير ان نستيقظ انتقلت سريعا من النوم الاصغر الى
النوم الاكبر

وتوقف الكسيكى الامرد عن الكلام وعاد يحرق الى الاوراق
الاربع المقلوبة وهو لايجسر على الكشف عن وجوهها :

- كان كل ذلك فى الورق . فلماذا لم انتفع بالندير ؟ سوف
لا اكشف عن هذه الاوراق . عليها اللعنة ؟

وبحركة عنيفة من يده اطاح بالاوراق الى الارض واضطجع فى
مقعده ولف لنفسه سيجارة ، وهو يقول :

- ومنع اننى مفكر حر ، الا اننى دفعت مالا كثيرا لاقامة الصلوات
على روحها فى جميع الكنائس التى امرتها

وجذب من سيجارته نفسا عميقا ثم هز كتفيه ، وقال :

. قال لى الكولونيل انك كاتب . ماذا تكتب ؟

- اكتب قصصا

- قصصا بوليسية ؟

- كلا

- ولم لا ؟ انها القصص الوحيدة التى اطالعها . ولو كنت كاتب

ا كتبت الا القصص البوليسية

- ربما لانها شائعة جدا فى التأليف

وغير اشنلنن مجرى الحديث واخذ يتكلم مع الكسيكى عن

مهمتهما . فهما سيفسرفان عند روما ليوجهه المكسيكي الى برنديري
وبسوجه اسندن الى نابلي . واراد اسندن ان يعطى الجنرال رسم
حجره في فندق بلعاص الذي سينزل به كي يصعد الى الحجره
مباشرة عند اللزوم من غير ان يسأل عامل الاستقبال . ولكنه بعد
تفكير لم يعطه رسم الحجره بل جعله يكتب بخط يده عنوانه في
برنديري على مطروف . ثم كتب اسندن رسم الحجره في فصاصة
من الورق دأرسل الحطاب بالبريد كي يسلمه الجنرال من شبك
البريد في برنديري

وهز الجنرال كفيه ، وقال :

— بالها من احتياطات اطعام ، فليس هناك ادنى مجازفة . وتق
انه مهما كانت النتائج فلن يصيبك اذى

— ليست هذه المهمة مما تعودت ان افوم به . ولكنى انقد
تعليمات الكولونيل

— ليكن . ولكنى اردت ان اريد في طمانينك . ونحب ان نشعر
انك بامان من كل سوء كانك سنزه على نشاطىء التاميز

واخيرا عندما افترق الانسان في روما ووجد اسندن نفسه وحده
في مسالون القطار الذاهب الى نابلي زفر رهرة عميقة وشعر
بالارتياح . وسره ان يتخلص من ذلك الترنار القبيح السكل
الواسع الحبال . وذهب ذلك الرجل الى برنديري ليعايل فيسطنطين
اندرينادى . وسرت الرجفة في جسم اسندن . فان سح ولو نصف
ماحدثه به الجنرال عن نفسه ، فالجاسوس اليونانى في عداد الاموات
منذ الآن . وكان من العسير على اسندن ان يتصور ذلك اليونانى
وهو يمر بحر الادرياتيک غافلا عما يسطره ، وحاملا تلك الوثائق
السرية الخطيرة

ولكنها الحرب . والبلهاء وحدهم هم الذين يخيل اليهم انها
يمكن ان تكسب بالوسائل الشريفة والمادى: بالطبيعة وحدها

نتيجة غير متوقعة

عندما وصل اشندن الى نابلي اتخذ لنفسه حجرة في الفندق وكتب رقما فوق قصاصة ورق وارسلها داخل المظروف الذي كتب عليه المكسيكى الامرد عنوانه . وبعد ذلك توجه الى القنصلية البريطانية لان الكولونيل كان قد رتب الامور بحيث يرسل اليه عن طريق القنصلية اية تعليمات تعن له . وتبين لاشندن انه يعلمون يقدموه ، وان كل شيء قد امدت له اهبتة على خير وجه . وعندئذ اخطى ذهنه من هذه المسائل واسعد كرم يتمتع بهودة اقامته في نابلي على احسن وجه

وفي الجوب من ايطاليا كان الربيع قد اوغل فصارت الشمس شديدة الحرارة في شوارع المدينة الزدحمة . وكان اشندن يعرف نابلي معرفة جيدة فكان ميدان القديس فرديناسو وميدان الاقتراع والكنيسة الجميلة القريبة من هناك تنير في نفسه ذكريات حلوة

وجعل يتمهل عند نواصي الشوارع ، وينظر الى الحارات الضيقة التي ترقى بالسائر فيها الجبل رقا عتيفا ، وعلى جانبها البيوت العالية وقد علقت فيها الثياب المفسولة لتجف . وجعل يتلأأ في مشيته على الشاطيء وهو يحملق في البحر الازرق وقد ارتسعت على افقه البعيد مدينة كبرى بالوان باهتة . واخيرا افضى به المسير الى قصر عتيق متهدم فضى فيه وهو طفل ساعات ممتعة . ثم ركب عربة يجرها حصان واحد هزيل وكر راجعا الى فندقه

وظل اشندن يعيش على هذا النمط المتراخي الفارغ ثلاثة ايام . فكان لايفعل شيئا منذ الصباح حتى الليل سوى التجول على غير هدى ، والنظر لا بعين السائح المتعجبة ، ولا بعين الكاتب

المتفحصة ، بل يعين المتشرد الذي لايعنيه من هموم الدنيا شيء .
أوتردد على المتحف ليرى روائع التماثيل والصور . والم طويلًا
بكنيسة القديسة كيارا لانه كان يمشق تلك الكنيسة بصفة خاصة
وفي الصباح الرابع فلأغ اشندن من حمامه وأخذ يجفف جسمه ،
وإذا بالباب يفتح بسرعة ويندفع الى داخل الحجرة وجل . فصاح
اشندن :

— ماذا تريد ؟

— على رسلك . الا تعرفنى ؟

— يا الهى ! انه المكسيكى ! ماذا فعلت بنفسك ؟

وكان المكسيكى قد استبدل بشعره المستعار شعراً أسود قصيرا
فتغير منظره كل التغير وان ظان شكله على العموم غريبا ، ولكن
بصورة مختلفة عن ذى قبل . وكان يرتدى بذلة رمادية عتيقة
— سوف لا أستطيع البقاء الا ذقيقة واحدة . لانه يحلق ذقنه
فشعر اشندن بخديه يحمران فجأة وسأله :

— هل وجدته الذن ؟

— لم يكن ذلك عسيرا . لانه كان اليونانى الوحيد بين ركاب
السفينة . وقد صعدت الى ظهرها عندما ألقت مراسيها وجعلت
اسأل عن صديق ركبها من بيريه زعمت اسمه جورج ديوجينيدس .
وأظهرت دهشة شديدة لعدم حضوره وهكذا دخلت فى حديث مع
أندريادى . وهو مسافر تحت اسم مستعار اذ سمي نفسه
أومباردوس . وقد تبعته واقتبعت اثره بعد نزوله الى البر . فهل
تدرى ماهو أول شيء فعله ؟ لقد ذهب الى دكان حلاق وحلق
لحيته . فما رأيك فى ذلك ؟

— لاشيء ، فأى شخص يستطيع أن يحلق لحيته

— ليس هذا ما اعتقده . لقد اراد أن يغير سحنته . انه ماكر .
وأنا شديد الإعجاب بالالمان لانهم لايتركون شيئا للصدف . وقد
اصندروا اليه تعليمات مفصلة ، ولكنى سأحدثك عن هذا بعد
قليل

— ولكنك انت أيضا غيرت سحنتك

— انه الشعر . اليس كذلك ؟

— ماكنت لاعرفك !

— يجب على الانسان ان يلتزم الحيطة دائما . لقد اصبحت
انا وهو صديقين حميمين . لانه كان قد قرر قضاء اليوم في برنديزي
وهو لا يستطيع التخاطب باللغة الايطالية . وكان مسرورا جدا
لوجودى بجانبه . ثم بعد سهرة لطيفة في برنديزي ركبنا القطار
معا . ولما وصلنا الى نابلى جئت به الى هنا . الى هذا الفندق ،
وهو يقول انه سيسافر الى روما غدا . ولكنى لن ادعه يغيب عن
ناظري . فانا لا اود ان يروغ من يدي . وقد ابدى رغبة في مشاهدة
ملاهى نابلى ومعالها . فعرضت عليه ان اصحبه واربه كل ما يستحق
المشاهدة فيها

— ولماذا لا يذهب الى روما اليوم ،

— هذا جزء من القصة . فهو يدعى انه رجل اممال يونانى جمع
ثروة طائلة في مدة الحرب . ويقول انه كان يملك باخرتين ساحليتين
فباعهما . وهو الان ينوى الذهاب الى باريس كي يتمتع ويلهو ،
فقد ظل طول عمره يتلهف على باريس ، الى ان سنحت له الفرصة
اخيرا . وهو رجل كتوم بذلت جهدى في استدراجه للكلام ، فقلت
له اننى اسباني وانى ذهبت الى برنديزي كي انظم اتصالات سرية
مع تركيا لتهرب معدات حربية . فاصفى لما اقول ، وظهر عليه
الاهتمام ، ولكنه لم يقل شيئا وبطبيعة الحال لم اجد من الحكمة
ان ادفعه

— والوثائق ؟

— يحملها معه

— وكيف عرفت ذلك ؟

— انه ليس شديد الحرس على جيوبه . ولكنه بين حين وآخر
يتحسس خصره . فالوثائق اما ان تكون في حزام داخلى او في
بطانة ستره

— ولكن لماذا بحق الشيطان اتيت به الى هذا الفندق بالذات ؟

— ظننت ان ذلك يكون افضل . لاننا قد نحتاج الى تفتيش
امتعته

— وهل انت معيم هنا ايضا ؟

— كلا . فلست ابله الى هذا الحد . لقد قلت له اننى ذاهب الى روما بقطار الليل المتأخر ولهذا لا احتساج الى حجز غرفة والآن يجب ان اذهب لانى وعدته ان اقبله خارج دكان الحلاق بعد ربع ساعة

— وهو كذلك

— واين استطيع ان اجدك الليلة اذا اصبحت اليك ؟
فنظر اشندن الى المكسيكى الامرد برهة طويلة ثم قال :
— ساقضى المساء فى حجرتى
— هذا عظيم . والآن هل لك ان تودى الى خدمة ؟
— ماهى ؟

— انظر هل فى الممر الخارجى أحد

ففتح اشندن الباب ونظر فى الدهليز فلم يجد احدا . والواقع ان الفندق فى ذلك الموسم كان خاليا تقريبا من النزلاء فمما اقل الاجانب فى نابلى فى زمن الحرب

— كل شئ على مايرام

فخرج المكسيكى الامرد يمضى فى اقدام وجراة منتصب القامة . واغلق اشندن الباب خلفه ثم خلق ذقنه وارتندى ملاسبه ببطء . وكانت الشمس مشرقة كالعادة فى الميدان بصورة بهيجة . وكان كل شئ يقع عليه نظره يوحى بالسرور ، الا ان اشندن لم يشعر بهجة ولا سرور فى ذلك اليوم ، لانه احس بعدم ارتياح داخلى . وذهب كفادته الى مقر القنصلية الانجليزية ليسالهم هل وردت باسمه رسائل برقية او بالشفرة . ولم يجد شيئا ، فذهب الى مكاتب شركة كولتوللسياحة ، ونظر فى مواعيد القطارات المسافرة الى روما لبلا . فاذا هناك قطار يقوم بعد منتصف الليل بقليل ، وقطار آخر يقوم فى الخامسة صباحا . وتمنى لو استطاع ركوب القطار الاول

ولم يكن يدري شيئا عن خطط المكسيكى . فلو انه كان حقا يريد الذهاب الى كوبا لكان من الافضل له ان يشق طريقه الى اسبانيا . ولما نظر اشندن الى مواعيد السفن ، وجد ان هناك سفينة سبهر فى اليوم التالى من ميناء برشلونه

وكان أشندن قد سئم نابلي . واخذ الشعاع الساطع باستمرار
في شوارعها بجهد عينيه . أما التراب فكان لإبطاق ، والوضوء
تكاد تصم أذنيه

وتوجه أشندن بعد ذلك الى مقصف جاليريا وتناول كأسا من
الشراب . وقضى فترة بعد الظهر في دار للسينما . وبعد أن خرج
من السينما ذهب مباشرة الى فندقه وقال لكاتب الاستقبال :

... سأسافر في ساعة مبكرة جدا من صباح غد ، ولهذا أفضل
أن أسوى حساب اقامتى الآن

وبعد تسوية الحساب أخذ أشندن حقيبته الى المحطة ولم
يتروك في حجرته الا حقيبة كتب صغيرة فيها كتابان . وعاد الى
الفندق فتناول الطعام وصعد الى حجرته لينتظر فيها المكسيكى
الأمرد

ولم يستطع أن يخفى على نفسه انه كان مصيبا للغاية . وشرع
يقرا ولكن الكتاب كان شاقا فجرب الكتاب الآخر . ولكن انتباهه
كان يخونه ، فيشرد كثيرا عن القراءة . وبدأ ينظر في ساعته ، فاذا
الوقت لم يزل مبكرا جدا ، فرجع الى الكتاب مرة أخرى ، وإلى
على نفسه الا ينظره الى ساعته مرة أخرى ، الا بعد أن يتم قراءة
ثلاثين صفحة بعناية تامة

ومع انه كان يقرأ السطور بأمانة ودقة ولا يقفز منها شيئا الا
انه لم يفقه شيئا كثيرا مما قرأه . وفي ختام الثلاثين صفحة نظر الى
الساعة مرة أخرى فاذا بها لم تتجاوز العاشرة الا بدقائق قليلة .
وبدا يتساءل أين يكون المكسيكى الامرد الان ؟ وماذا يصنع ؟ وخشى
أن يكون قد فشل في مهمته

انها مهمة فظيعة ولكن . لابد من الانتظار . وقام برأسه أن يفلق
النوافذ ويسدل الستائر ففعل ذلك . ثم أخذ يدخل السجائر
بصورة متلاحقة الى أن صارت الساعة الحادية عشرة والربع .
وخطر بباله خاطر جعل قلبه يدق دقا عنيقا . ودفعه الاستطلاع
الى احصاء نبضه ، فادهشه أن يجده عاديا تماما . ومع أن الليلة
كانت دافئة ، والحجرة ثقيلة الهواء ، الا أن يديه وقدميه كانت
باردة كالتلج

وضاق بمحلله الخصبه التي جعلت تحسم له اشكالا غريبه جدا ، وصورا لا يريد ان يتمتلها بحال من الاحوال ! انه كاتب . ويحكم تلك المهنة كثيرا ما فكر في جرائم الفسل ، وطالع في ذلك الموضوع . والآن يراود دهنه وصف لجريمة قتل جاء في كتاب الجريمة والعقاب للكاتب ديسوبفسكى . وهو الآن لا يريد ان يفكر في ذلك الموضوع ولكن الموضوع يفرض نفسه عليه فرضا .

وسقط الكتاب من فوق ركبته وهو يسأل نفسه :

— هل نابلى مديته يمكن ان يفترق احد فيها جريمة قتل ؟ ونظر اشندن مرة اخرى الى الساعة وقد شعر بتعب شديد . ثم كف عن محاولة القراءة لان دهنه قد اضحى كصحيفه بيضاء وعندئذ انفتح الباب برفق شديد فقفر اشندن واقفا على قدميه وقد اقتصر بدنه . واذا بالمكسيكى الامرد ينتصب امامه . وساله باسم :

— هل افزعتك ؟ ظننت انك تفضل الا اطرق الباب

— هل راك احد وانت تدخل ؟

— لقد فتح لى حارس الليل وكان نائما عندما دقت الجرس فلم ينظر الى . واني آسف لاني تاخرت . ولكن كان يجب ان اغمر ثيابى

وكان المكسيكى الامرد الآن في الثياب التي سافر بها ، وفوق رأسه شعرة المسعار الاشقر اللون الطويل . وكان الفرق الذي احده هذا التغيير غريبا حقا ، فبدا اضخم قامة واشد ازدهارا . بل ان شكل وجهه نفسه تغير فعيناه الآن لامعتان ، وهو يبدو في روح عالية جدا . ورمق اشندن بنظرة بريئة وقال :

— ما اشد شحوبك ايها الصديق ! لا اخالك متوتر الاعصاب ؟

— هل حصلت على الونائق ،

— كلا . لم يكن يحملها في جيوبه . هذا كل ما كان معه

ووضع فوق المنضدة مفكرة جيب سميدة وجواز سفر . فقال اشندن :

— لا اريدهما . خذهما

فهر المكسيكى الامرد كنفه واعاد « المخلفات » الى جيبه

— وماذا كان في حزامه ؟ قلت انه كان يتحسس خاصرته باستمرار

— لم أجد الا نقودا . وقد قلبت صفحات مفكرته فوجدت بينها صور نساء . ولا بد انه اودع الوثائق خزانة الفندق او دولا ب حجرته قبل ان يخرج معي للسهرة
— باللجنة !

— معي مفتاح حجرته . ومن المستحسن ان نذهب الآن ونفتش حقاله تفتيشا دقيقا

فشمر أشنندن بعثيان في معدته وتردد . فابتسم المكسيكي ابتسامة لاتخلو من رقة ، وقال كانه يطعن صبيبا صغيرا :
— لا مجازفة في الامر ايها الصديق . ولكن اذا كنت غير مستريح فانا مستعد ان اذهب بمفردي
— كلا . انا قادم معك

— الكل نيام في الفندق . وطبعاً مستر اندريادي لن نعكر علينا صلوفا . ويستحسن ان تخلع نعلك
ولم يجب أشنندن ولكنه لاحظ ان يديه ترتجفان قليلا وهو يلك رباط نعله ويخلعه . وحذا المكسيكي الامرء حذوه . ثم قال :

— من المستحسن ان تتقدمنى انت ايها الصديق . در الى اليسار واتجه مباشرة في الدهليز . والحجرة رقم ٢٨
وفتح اشنندن الباب وخرج الى الدهليز الخافت الضوء . وكان يضايقه ان يجد نفسه متونر الاعصاب في الوقت الذي يرى فيه رفيقه هادىء الاعصاب للغاية

ولما وصلا الى الباب رقم ٢٨ اولج المكسيكي الامرء المفتاح في الباب ودخل فإضاء النور . وتبعه اشنندن واقفل الباب ثم لاحظ ان المصاريع الخشبية مقللة . وقال المكسيكي بكل ارتباح :
— نحن الآن على مايرام وامامنا الوقت متسع كما تشاء

ثم اخرج من جيبه حلقة من المفاتيح اخذ يجرب مفاتيحها في حقيبة الملابس الى ان عثر على المفتاح المنشود . واخذ يخرج المحتويات من الحقيبة ، ثم قال بازدرء :

— ملابس من نوع رخيص ! مبدئي دائما انه من الارخص للانسان
على طول المدى ان يستري احسن الانواع . لانه اما ان يكون الانسان
سيدا شريفا او هو ليس بسيد شريف . والملابس تدل على الشخص
فساله اتسندن بغيظ :

— هل من الضروري ان تكلم ؟

فابتسم المكسيكى الامرد ، وقال :

— ربح الخطر توتر على الناس بأساليب مختلفة . فهي مثلا
تثير حيويتى فقط . اما انت فتتلف مزاجك ايها الصديق !

— وواضح اننى مرتاع اما انت فلا

— مسألة أعصاب ليس الا

واخذ نحسى كل بوب بسرعة ودقة فلم يجد اوراقا من أى
نوع . فأخرج مديبه وتلق بطاقة الحقيبة الداخلية فلم يجد شيئا
بداخلها

— الوثائق ليست هنا . فلا بد انها مخبأة فى الحجرة

— اوثق انت انه لم يودعها فى مكان ما ؟

— مثل ؟

— احدى القنصليات مثلا

— انه لم يغيب عن نظرى لحظة واحدة الا وهو فى محل الحلاقة

وفتح المكسيكى الامرد الادراج والدولاب . اما الارض فكانت
عادية ، ثم فتش بين الحشايا والوسائد . وكانت عيناه السوداوان
تتنقلان فى وميض ثاقب بين أرجاء الحجرة بحثا عن مخبأ . وشعر
اتسندن أن لا شيء يغيب عن تلك النظرة الفاحصة . فقال

— تركها فى خزانة الفندق امانة

— وهذا ايضا كنت خليقا ان اعلمه . ثم انه ماكان ليحسر على

تلك المجازفة . انها ليست هنا وهذا ما اعجز عن فهمه

— هيا بنا نخرج

— دقيقة واحدة ...

ثم ركع المكسيكى على ركبتيه واخذ يطوى الملابس بسرعة
واناقة وادغل الحقيبة ثم نهض واقفا واطفا النور . وفتح الباب

بتودة ونظر في الدهليز ثم أوما الى أشندن وتسلل خارجا . فلما تبعه أشندن أقفل المكسيكى الباب بالمفتاح وسار مع أشندن الى حجرته . وبعد ان أغلق أشندن الحجره بالمزلاج جفف يديه وجبهته من العرق الغزير ، وصاح :

— الحمد لله . خرجنا من هناك سالمين

فابتسم المكسيكى برفق وقال :

— الحق انه لم يكن هناك ادنى خطر . ولكن ماذا نصنع الآن ؟ سيفضب الكولونيل لاننا لم نعتز على الاوراق

— سأستقل قطار الخامسة صباحا الى روما . ومن هناك سأبرق الى الكولونيل فى طلب التعليمات — وهو كذلك . سأتى معك

— اعتقد انه من الافضل لك ان تغادر هذه البلاد بأسرع مايمكن . وغدا ستبحر من هنا سفينة الى برشلونه . فلماذا لا تستقلها واذا لزم الامر ذهبت لمقابلتك هناك ؟

فابتسم المكسيكى الامرد ، وقال :

— أراك متلهفا على الخلاص منى . ولكنى لن اخيب رغبة أملها خبرتك فى هذه الامور . وسأسافر الى برشلونه ولدى تأشيرة دخول اسبانية

ونظر أشندن الى ساعته وكانت قد تجاوزت الثانية بعد منتصف الليل بقليل فأمامه ثلاث ساعات من الانتظار . ورأى زميله يلف سيجارة بكل راحة بال ثم قال لأشندن :

— مارايك فى وجبة عشاء متأخرة الآن ؟ فانى اشعر بجوع شديد ، كجوع الضواري

وكانت كلمة الطعام كافية لشعور أشندن بغتيان . ولكن حلقه كان جافا وبه رغبة فى التهرب . ولم تكن به رغبة فى الخروج مع المكسيكى الامرد . وفى الوقت نفسه لم تكن لديه رغبة فى البقاء بذلك الفندق وحده ، فسأل المكسيكى :

— اين يستطيع الانسان ان يذهب فى هذه الساعه ؟

— تعال معى وسأجد مكانا مناسباً

فوضع أشندن قبعته على راسه وحمل حقيبته الكتب ونزلا على

اطراف الاصابع حتى لا يوقظا حارس الليل للنائم فوق مكب الاستقبال . ولكن عين اشندن لمحت في الكوة الى نحمل رقم حجرته خطابا . فاخذه ووجد عليه عنوانه فدسه في جيبه ، وخرجا من باب الفندق يحذر تم اغلقاه ومشيا بسرعة نحو مائة خطوة . وتحت ضوء مصباح في الشارع فض اشندن الخطاب فاذا به من القنصلية :

— نتشرف بارسال هذه البرقية الشفوية التي وردت الليلة بصفة عاجلة

ولا بد أن الخطاب وصل الى الفندق قبل منتصف الليل . ولكن كسل الطليان المعروف جعل الموظف يودعه الكوة ولا يلتفت الى كلمة عاجل جدا المكتوبة على الظروف . رغم أن رسولا خاصا من القنصلية حمله الى الفندق ..

وفض اشندن البرقية الشفوية . ولما كانت عملية حل الشفرة تستغرق وقتا فقد دس البرقية في جيبه الى أن ينفرد بنفسه

وكان المكسيكى الامرد يسير كمن يعرف الطريق تماما في هذه الشوارع المقفرة واشندن يسير بجواره . واخيرا وصلا الى حانة في زقاق مغلق تنبعث منها ضجة ورائحة نفاذة . فدخل المكسيكى وهو يقول :

— انها ليست فندق ريتس بطبيعة الحال . ولكن في هذه الساعة من الليل لا يوجد الا مثل هذه الحانة . وبين السكرارى الفقراء وفتيات الليل القبيحات جلس الاثنان . وطلب الجنرال طبقين من الاسياجتى ورجاجة من نبيذ كبرى . وما ان جاء الساقى بالزجاجه حتى شرب نصفها جرعة واحدة . وهزقت الموسيقى ، فقام بعض السكرارى ليرقصوا مترنحين . ونهض الجنرال أيضا وقال لاشندن :

.. الا ترقص ؟ سارقص مع احلى اولئك الفتيات

وانتقى فتاة ذات عينين لامعتين واسنان ناصمة فراقصها ولاحظ اشندن أنه يرقص ببراعة . وأنه يتحدث الى المرأة وان كلماته جعلتها تبسّم ثم تضحك . وظهرت آيات المرح على ذلك الحديث الى نهاية الرقصة ، وعندئذ عاد الى اشندن واخذ يحثه على

الرفص كى يشعر بالبهجة ولا يطول عليه وقت الانتظار
وصدحت الموسيقى مرة اخرى . فنظر الى الفتاة التى كان
يرافقها وأشار بأصبعه فقفزت قادمة نحوه . فكاد يختطفها من
فوق الارض وهو يندور معها ثم اخذ يوزع النكات على الجالسين
والراقصين بلغة ايطالية طليقة ، فارتفعت الكلفة بينه وبين الجميع
وفى وسط الرقصة رأى الساقى يحمل طبقى مكرونة فترك
الفتاة بلا مقدمات واسرع الى الطعام . ولما اكاد له اشندن انه
لا يريد ان ياكل شدد عليه . فاكل اشندن مضغاً واذا به يكتشف
انه جائع جدا فاكل بقية الطبق . اما الجنرال فالتهم طبقه التهاما
ثم طلب زجاجة اخرى من النبيذ . ثم مد ذراعه ليربت على ذراع
اشندن . فصرح اشندن :

— ما هذا الذى يبلطخ كم معطفك ؟

فالتقى المكسيكى نظرة الى كفه وقال :

— هذا ؟ لانىء . نقطة دم . حدث لى حادث صغير وجرحت
نفسى ، وسكت اشندن ثم تطلع الى الساعة المعلقة فوق باب
الحانة

— اتفكر فى قطارك ؟ دعنى استمتع برقصة اخرى ثم اصحبك
الى المحطة

ونفض المكسيكى بثقته التى لاحد لها وراقص اقرب امرأة الى
يده . واخذ اشندن يتابعه بنظرانه وهو متعجب ومعجب برشاقتة
العائقة ومرحه ولولا انه ينهى ان يصفى معه حسابا معيناً على
حسب التعليمات قبل سفره لتركه يرقص حتى الصبح وانجه
الى المحطة بمفرده

وكانت التعليمات ان يسلم المكسيكى مبلغا معيناً فى مقابل
وثائق معينة . والوثائق لم يعثر لها على اثر . وهو لا يدري ما العمل
الآن . وقطع عليه حبل افكاره لتوزيع المكسيكى الامرد له وهو
يمر بقربه

— سأتى بمجرد توقف الموسيقى عن العزف . ادفع الحساب
حتى تكون على تمام الاستعداد

وتمنى اشندن لو انه استطاع النفاذ الى عقل هذا الرجل

العجيب . سر انا سر تركيبه الخاص
وتوقفت الموسيقي واقبل المكسيكي وهو يجفف بمنديله العطر
العرف عن جيبه . فسأله أشندن :
- هل استمتعت بوقتك يا جنرال ؟

- انا دائما استمتع بوقتي . نساء قبيحات . نفايات بيضاء
ولكن ماذا يعني ؟ انا احب ان اشعر بجسد امرأة بين ذراعي
وان ارى عينيها تنكسران ، وشفتيها تنعرجان ، لان جاذبتي اذابت
نخاع عظامها كما يدوب الزبد في حرارة الشمس . نفايات بيضاء .
ولكنها نماذج من الانوثة ، وانا لا ابد لي من اثاث ..

ومسى الاثنان في طريق المحطة . وكانت ليلة صائفة ، الريح فيها
ساكنة ، والصمت يسر معهما كأنه شبح ميت ، وقرب المحطة كانت
في البيوت بقية من حياة . وسرت في الليل رجفة مقلقة تنذر
بقرب طلوع الفجر . وسرعان ماض معهما مبنى المحطة . وكانت
الاستراحة خالية فجلسا في ركن منها . وكانت الساعة الرابعة .
وامام اشندن ساعة كاملة فاخرج البرقية واخذ يحل رموز الشفرة
المعقدة . وعندما فرغ من ذلك اخيرا قرأها جملة واحدة . فاذا
بها كالآتي :

- قسطنطين اندريادي مائة المرض من ركوب السفينة من بيريه .
مد حالا الى جنيف وانتظر التعليمات
اوصرخ اشندن بصوت مكتوم :
- ايها الاحمق ! لقد قتلت رجلا لا جريرة له !



الفصل السابع

رحلة إلى باريس

وكان من عادة أشندن أن يؤكد دواما انه لا يعرف السام . ومن آرائه ان من يسام من الناس انما هم الذين ليست في نفوسهم مصادر للمعرفة أو الاهتمام أو الاستمتاع . والاغبياء هم الذين كل اعتمادهم في التسلية والاستمتاع على العالم الخارجى

ولم تكن لدى أشندن اوهام عن نفسه ، وما أوتيته من نجاح في عالم الادب لم يحدث براسه دوارا . فكان يفرق بدقة بين الشهرة ذات الجذور والاساس وبين الشهرة السهلة التى تواتى مؤلف رواية ناجحة أو مسرحية موفقة . وهذا النوع الاخير من الشهرة لم يكن أشندن يكثر له الا بمقدار ما يقىء عليه من امتيازات أو منافع ملموسة . فهو مستعد تمام الاستعداد ان يستفيد من اسمه اللامع كى يحصل على قمره فوق سطح السفينة افضل من القمرة التى دفع أجرها . واذا اتفق ان ضابط الجمرك اجاز حقائب أشندن من غير ان يفتحها لانه قرا له قصصه القصيرة ، فهو حرى ان يقر بان ممارسة الادب لا تظلو من عائد نافع . ولكنه كان يتنهد وهو يحس بضيق صدره حينما يلح عليه شباب طلاب الفنون التمثيلية كى يناقشوا معه حرفية التأليف المسرحى . وكذلك حينما تهمس العجائز القبيحات من النساء في أذنه باعجابهن الشديد بكتبه وكان يتمنى في اعماق نفسه لو مات

وكان أشندن يعتقد في نفسه الذكاء . فكان من السخف مع هذا الاعتقاد ان يسلم نفسه للسام . . والواقع انه كانت لديه القدرة على الحديث الى أشخاص لهم شهرة مستفيضة بالعباء وثقل الظل ، حتى ان الناس يهربون من مجالستهم كأنهم من الدائنين . فمثل هؤلاء

الناس هم المادة الخام التي يصوغ منها شخصياته الروائية . ولديه الآن كل شيء يطمح اليه الرجل العاقل كي يجد التسلية المعقولة . فتحت تصرفه غرف لطيفة في فندق من أجود فنادق جنيف، وجنيف من الطف المدن التي تطيب فيها الإقامة في أوروبا قاطنة

ومن عادة أشنندن ان يستاجر زورقا للتجديف فوق مياه البحيرة أو حصانا يركبه للسير البطيء . ففي هذه المدينة الانيقة لا توجد مساحات من الارض مكسوة بالعشب يستطيع المرء فيها ان يجرى بجواد راكض . وفي احيان اخرى كان يتجول راجلا في الشسوارع القديمة ، ويحاول ان ينفذ ، وهو بين تلك البيوت الحجرية الرمادية الهادئة الوقور ، الى روح العصر الغابر الذي بنيت فيه . وكان يقرأ أيضا في تلك المدينة مرة بعد اخرى اعترافات روسو الرائعة . وحاول عينا أكثر من مرة ان يتم قراءة روايته المشهورة . الوزير الجديدة . وبين حين وحين كان يكتب صفحات متفرقة . اما الناس فكان لا يختلط بهم كثيرا . فمهنته الراهنة لا تخول له التعرف الى عدد كبير منهم . ولكنه على صلات سطحية بعدد قليل من نزلء الفندق في الحدود التي تسمح له بتبادل الحديث السطحي العابر ، كي لا يشعر بالعزلة التامة . وهكذا كانت حياته حافلة بما فيه الكفاية ، غير خالية من التنوع ، وفي الاوقات التي لا يجد فيها ما يفعله كان يلوذ بأفكاره وخواطره الخاصة فيجد في ذلك سسلة غير قليلة

فمن العبث ان ان يظن ظان ان اشنندن كان أفريسة للسمام والملل . فكان يكفيه مثلا وهو يركض بجواده حرن مدينة جنيف ان يتذكر سحنة رؤسائه في ادارة المخابرات السرية ، ويتسلى على حسابهم ، ولو على سبيل الانتقام . فمن العدل ان نعرف ان أولئك الرؤساء يستمتعون بتحريك جهاز المخابرة الضخم ، ويشاهدون النتائج المثيرة ، ويطلعون على التحركات والتيارات الخفية التي تشبه لعبة شطرنج هائلة . في حين يشقى المرءوسون من الجواسيس والعلاء أمثال اشنندن بتنفيذ خطوات جزئية لا يتاح لهم في الغالب فهم شيء من اسبابها ، أو الاطلاع على شيء من كنهها . وكانهم آلات صماء تتحرك بغير شعور أو ادراك أو دمي خشبية

ينفذ بها اغراضه . مما يجعل الغيظ ينسب في الاعماق عن غير قصد

والحقيقة ان نظام اشندن اليومي في العمل كان رتيباً متشابهاً كحياة مستخدمى المكاتب . فكان يقابل الجواسيس الذين يعملون تحت اشرافه في فترات مرسومه بدقة ويسلمهم رواتبهم

وعندما ينفق له ان يقع على عنصر صالح للجاسوسية كان يستخدمه ويصلو اليه تعليماته ، ثم يعث به الى المانيا ، وينتظر مايمكن ان يرسله من المعلومات ، فيتولى توصيلها الى القيادة العامة . وكان يعبر الحدود مرة واحدة كل اسبوع ليتباحث مع بيته مدير الجاسوسية في فرنسا ، ويتسلم منه تعليمات لندن

اما سوق جنيف فكان يذهب اليه يومياً ، ليفعل ذهابه في يوم لسوق الاسبوعى كى يقابل بآنعة الزيد ويسلم منها اية رسالة يمكن ان تأتيه بها عبر الحدود . وكان دائماً مفتوح العينين والاذنين لكل همسة وكل حركة . ويكتب تقارير طويلة كان يظن ان احداً " يقرؤها في القيادة كما هو معهود في المكاتب الحكومية " الى ان جلده ات يوم تويخ على بعض عبارات هازلة وردت في غضنون احشد لزيه . .

ومن بين اسباب التسلية التي حاول ان يرفه بها عن نفسه ، وتخفف من رقابة عمله المتشابه في جنيف ، ان فكر ذات يوم في مغازلة البارونة فون هيجنز . . فهو الآن والى من انها جاسوسة في خدمة الحكومة النمساوية . ولذا كان يتوقع ان يسفر الصراع الماكر بينهما من لذة متيرة . فمن المسلمى ولا شك ان يلتحم ذكاؤه بذكاها في مناورة . وكان على يقين من أنها ستحرص على نصب الفخاخ له باستمرار ، ومما لاشكاً فيه ان روغاته من تلك الفخاخ سيكون له نشاطاً ذهنياً ينفذ الصدا عن عقله . ووجد لديها استعداداً لتلك اللعبة السائقة ، فلما ارسل اليها باقة من الازهار بعثت اليه بكلمة رقيقة

واقدم بعد ذلك على دعوتها الى نزهة في قارب بالمجاديف على متن البحيرة ، فلبت طلبه واسترخت في القارب الصغير وادلت ذراعها البيضاء العارية الطويلة المشوقة بحيث انعميت اناملها البضة في

الماء واخذت تحدثه عن الحب حديثا لمحت فيه تلميحا الى قلبها
المحطم . وتناولوا المشاء بعد ذلك معا ، ثم توجهوا لمشاهدة تمثيل
باللغة الفرنسية نثرا لرواية روميو وجولييت ...

ولم يكن اشندن قد استقر رايه بعد على المدى الذي يبلغه في
علاقته بهذه البارونة عندما جاءت رسالة ذات لهجة حادة من
الكولونيل ، يستفسره عن هدفه من تلك اللعبة ، لان المعلومات قد
وصلت الى الرئاسة بأن اشندن يكتر من الاختلاط بامرأة تدعو
نفسها البارونة هيجنز وهي في الواقع جاسوسة لدول المحور . والله
من غير المرغوب فيه ان تكون لاشندن بها اية علاقات سوى علاقات
الجمالة في حدها الأدنى !

وهز اشندن كتفيه استخفافا وقد أدرك ان الكولونيل لا يحسن
الظن به ، كما يحسن هو الظن بنفسه . ولكنه ايقن بعد ذلك من
صدق الظن الذي ذهب اليه من قبل من وجود شخص ما في مدينة
جنيف مكلف من قبل الكولونيل بمراقبة حركاته وسكناته ورفع
التقارير عنه الى رؤسائه ، للتأكد من أنه لا يعمل في أداء واجباته ولا
يتورط في الزالقي . وكان هذا مما زاد في تسلية اشندن ، كأنه
مشارك في لعبة استخفاء ضخمة . وزاد امجابه بالكولونيل الداهية
الذي لا يترك شيئا للمصادفات ولا يثق بأى شخص ثقة كاملة . ان
الناس في نظر هذا الكولونيل ادوات يستخدمها في أغراضه ، من غير
ان يحاول تحديد قيمة لهذه الاداة او تلك

وجعل اشندن يستعرض في مخيلته الاشخاص المحيطين به عسى
ان يعرف على وجه التحديد من هو ذلك الشخص الذي وشى به عند
الكولونيل . ورجح عنده ان هذا الشخص احد سقاة الفندق وخدمه .
فهو يعهد الكولونيل ميالا لاستخدام خدم الفنادق في التجسس .
ولا عجب ! فطبيعة عملهم تسمح لهم برؤية الكثير وسماع الكثير بحكم
وجودهم في مواطن التقاء النزلاء والقرباء

ثم خطر له بعد ذلك انه ليس من المستبعد ان يكون الكولونيل قد
حصل على تلك المعلومات من البارونة نفسها ، فليس من المستبعد
بعد كل شيء ان تكون في خدمة إحدى دول الحلفاء . فالكثيرون يأكلون
على المائدتين في زمن الحرب

وعلى كل حال فقد استمر اشندن في علاقة المجاملة المهذبة تجاه البارونة . ولكنه كف عن التودد اليها

وذاث يوم عاد اشندن من نزهته على ظهر جواده ، ودخل الفندق فوجد لدى موظف الاستقبال برقية هذا نصها :

« العمه ماجى مريضة ومقيمة بفندق لوتى بباريس . ارجوك اذا امكن ان تذهب لزيارتها - ريموند »

وكان اسم ريموند من الاسماء المستعارة التي يؤثر الكولونيل استخدامها . ولما كان اشندن ليست له عمه بهذا الاسم ، فقد أدرك ان الكولونيل يأمره بالتوجه الى هذا الفندق في باريس . وكان يعرف ان الكولونيل حين يكون منشرح الصدر يستخدم اساليب الروايات البوليسية الرخيصة . ومعنى ان الكولونيل في حالة نفسية جيدة انه متأهب لتسديد ضربة جديدة . اما بعد اتمام الضربة فانه يكون في حالة نفسية سيئة تترك آثارها على تصرفاته مع مرعوسيه

ووضع اشندن البرقية باهمال مقصود فوق المكتب ثم سأل موظف الاستقبال عن موعد القطار السريع المتجه الى باريس . ثم نظر الى ساعته ليرى هل امامه متسع من الوقت للتوجه الى القنصلية قبل مواجيد الاغلاق كي يحصل على تأشيرة الدخول

وبينما هو يصعد السلم ليحضر جواز سفره من حجراته قال له عامل الاستقبال :

- لقد ترك السيد برقيته

- ما أفباني !

وهكذا صار من المؤكد لدى اشندن انه في حالة تساؤل البارونة عن سبب سفره المفاجيء الى باريس قد تعلم ان مريض قريبته هو السبب . ومن المستحسن في زمن الحرب ان يعتبر الانسان كل من حوله جواسيس ، ولا سيما موظفو الفنادق

وكان معروفًا في القنصلية الفرنسية ، فلم يستغرق وقتًا طويلا في الحصول على تأشيرة الدخول . ثم طلب من عامل الاستقبال في الفندق ان يحصل له على تذكرة في القطار السريع ، وصعد الى حجراته ليستحم ويبدل ثيابه وهو مسرور بالذهاب الى باريس ، ولانه يحب تلك الرحلة في القطار السريع ما بين جنيف والعاصمة الفرنسية .

ثم انه من الاشخاص الذين يستطيعون السوم في عربات التسوم
بالقطارات . واذا ايقظه الرقوف المفاجيء في احدى المحطات يلد له
ان يدخن سيجارة في الظلام مستطيبا تلك الوحدة . واذا استيقظ
على ضجة القطار اصغى لصوت العجلات ، وهدير البخار ، وثرر
بخواطره وافكاره ، وخيل اليه ان القطار في جوف الليل شهاب يشق
اجواز الفضاء الى مصر مجهول

وعندما وصل اشندن الى باريس كان الجو باردا والمطر يسقط
رذاذا ، وشعر بحاجة الى حلاقة ذقنه ثم الاستحمام وتبديل ثيابه .
ولكنه امر ان يتصل من المحطة تليفونيا بالكولونيل ويساله :
- كيف صحة العمة ماجى الآن ؟

واجابه صوت الكولونيل والضحك يعترض كلماته :
- يسرنى ان ارى عواطفك نحوها تدفعك الى الحضور بغير ابطاء .
فحالتها في تاخر شديد . وان كنت واقفا انه سوف يسرها ويفيدها
صحيا ان تراك

- ومتى تسمح لها ظروفها باستقبالى فيما تظن ؟
فضحك الكولونيل وقال :

- اعتقد انها ستكون حريصة على تمشيق زيتتها قبل حضورك .
فهي كما تعلم متعلقة دائما بمظهرها . فليكن اذن الموعد في منتصف
الحادية عشرة . وبعد ان تجاذبها اطراف الحديث سيكون في وسعنا
ان نخرج لتناول الغداء معا في مكان ما
- وهو كذلك ، احضر الى فندق لوتى في العاشرة والدقيسة
الثلاثين

وعندما وصل اشندن الى الفندق وقد صار نظيفا ايضا مجددا
النشاط ، استقبله جندي المراسلة الذى يلازم الكولونيل في البهو
السفلى ، ثم صحبه الى جناح الكولونيل الخاص ، ففتح الباب
وادخل اشندن . واذا بالكولونيل واقف وظهره مستند الى كتلة
من الخشب مشتعلة في المدفأة ، يملى على سكرتيره . فقال :
- اجلس

ثم واصل الاملاء . وكانت حجرة الجلوس حسنة الاتك . وهناك
مجموعة من الورد في زهرية ، مما يوحي بان التى رتبها بهذا التدق

امراه مترفه . وفوق منضدة كبيرة كومه ضخمة من الاوراق . وكان الكولونيل يبدو اكبر سنا من اخر مره رآه فيها اشندن . وكان وجهه النحيل الاصفر احفل بالغضور والتجاعيد ، وسعره انسد بالشيب اشتمالا . وكانت وطاة العمل بادبة عليه فهو لم يكن يرحم نفسه او يدخر شيئا من طاقته . يستيقظ في الساعة صباحا كل يوم ويظل يعمل في داب الى ساعة متأخرة من الليل
واخيرا قال الكولونيل :

— هذا يكفي . وخذ معك كل هذه الاوراق واكتبها على الآلة .
فانى اريد ان اوقعها قبل ان اخرج للغداء
وقال للمراسلة انه لا يريد ان يزعجه احد في خلوته باشندن
وكان السكرتير ملازما ثانيا في الحلقة الثالثة من عمره . وكان واضحا انه مدنى مجند بصفة مؤقتة . وجمع السكرتير كمية الاوراق وغادر الحجرة . وخرج وراءه لمراسلة . ولما صار اشندن والكولونيل وحدهما التفت الكولونيل اليه وقال :

— هل استمتعت برحلة طبيبا ؟

— نعم ياسيدى

فاشار الكولونيل الى حجرة الجلوس من حوله وقال :

— وما رأيك في هذا النظام ؟ لا بأس به . اليس كذلك ؟ وانا لا ارى مانعا يمنع الناس من محاولة التخفيف من متاعب الحرب كلما امكنهم ذلك

وكان الكولونيل اثناء هذه الثرثرة يحدج اشندن لتحديجا قويا . وكانت النظرة من عينيه الباهتتين توحيان اليك انه ينظر الى عقلك عاريا ولا يعجبه ما يدور فيه . ومن خصائص الكولونيل انه في بعض الاحيان لا يكتفم اعتقاده بان جميع افراد المجلس البشرى اما بلهله واما اوغاد . . . وكانت هذه العقبات الكثيرة التي تمنع الالفة بينه وبين الناس وتجعله لا يثق بهم . لانه في الغالب يفضل ان يسوى حسابه على اعتبار ان الناس جميعا اوغاد ، فذلك ادعى للحرص وعدم خيبة الامل

والكولونيل جتدى محترف قضى معظم مدة خدمته في الهندس والمستعمرات . وعند اندلاع نيران الحرب كان مصمكرا في جمبايكا .

وتذكره واحد ممن تعاملوا معه من رجال وزارة الحربية فاختره لإدارة المخابرات . وكانت كفاءته الفائقة سببا في سرعة ترقبه الى منصبه الخطير . فهو والحق يقال ذو طاقة ضخمة على العمل وموهبة في التنظيم مع شجاعة وعزم وجمود عاطفة

واعلمه خال من مواطن الضعف سوى موطن واحد وهو انه لم يخالط طول حياته من النساء على وجه الخصوص احدا من ذوات الاقدار الاجتماعية المعتبرة . فكل من عرفهن طول حياته من النساء هن زوجات زملائه الضباط وزوجات موظفي الحكومة وزوجات رجال الاعمال . فلما جاء الى لندن في بداية الحرب واصبح في عمله الجديد على صلة بنساء ممتازات لامعات حسناوات ، بهره ذلك فشعر بالخجل والضالة نحوهن . ولكنه استمر على صلته الاجتماعية بهن وصار من المومنين بالنساء . وكان اشندن يعرف عنه اكثر مما يخيل اليه . ولذا كان لزهرة الورد الاحمر عنده مغزى واضح غير الذي حاول الكولونيل ابهامه به من تخفيف وطأة الحرب

وكان اشندن يعلم تمام العلم ان الكولونيل لم يرسل اليه ليتحدث عن الجو والمحصلات . وتساءل بينه وبين نفسه متى سيدخل الكولونيل في الموضوع . ولم يطل تساؤله :

... لقد ابليت بلاء حسنا في جنيف

— يسرنى انك ترى هذا الراى ياسيدى

وفجأة بدأ الكولونيل قاسيا حازما . لقد نفض يده من حديث المجاملة

— عندي لك عمل يا اشندن

ولم يجب اشندن ولكن قلبه اختلج بالسرور . واستطرد الكولونيل :

— هل سمعت عن شنديرالال من قبل ؟

— كلا ياسيدى

وظهر نقاذ الصبر على جبين الكولونيل المقطب . لانه كان يتوقع من مرعوسيه ان يعرفوا كل شيء يرغب في ان يعرفوه . واين كنت تعيش يا رجل طيلة هذه السنين ؟
— في رقم ٣٦ شارع شسترفيلد بحى ماى فير !

فلاح شبع ابتسامة على وجه الكولونيل الاصفر . فقد كان يعجبه مثل ذلك الرد الساخر . واتجه الى المنضدة الكبيرة ، وفتح حقيبة أوراق كانت فوقها فاستخرج منها صورة فوتوغرافية قلّمها الى اشندن :

— هذا هو شندرالال

وبالنسبة لاشندن الذي لم يالف رؤية الوجوه الشرقية كانت الصورة تبدو كأية صورة لاجد راجات الهند الذين يحضرون في زيارات موسمية الى لندن وتنتشر صورهم في المجلات المصورة . فالوجه يدين ، والبنية مفرطحة والشفتان ممتلئتان ، والانف كبير ، والشعر اسود فزير مستقيم . وعيناه المفرطحتان في السعة اشبه في الصورة يعنى البقرة ، وهو يبدو على غير سجيته في الثياب الأوروبية واعطى الكولونيل لاشندن صورة اخرى ، وهو يقول :

— وهذا هو في ثيابه القومية

وكانت الصورة الاخرى تمثله بطوله . اما الاولى فلا يظهر فيها الا الرأس والكتفان . ويبدو انها كانت مصورة منذ بضع سنين فهو فيها انحف حتى ان عينيه الكبيرتين الجادتين جدا كادتتا تبتلعان وجهه . والمصور الذي صنع الرسم هندي من كلكتا جعل وراء ظهر شندرالال نخلة نابتة على شاطئ البحر . ووقف شندرالال وبنده متكئة على اصيص به نبات المطاط . ومع هذا كان يبدو في عمامته الكبيرة وازاره الابيض الطويل رجلا مهيبا وسال الكولونيل :

— ما رايك فيه ؟

— انه رجل لا يخلو من شخصية . فيه قوة ومضاء

— هك الملف الخاص به . اقراه جيدا

وقدم الكولونيل الى اشندن صفحتين مكتوبتين على الآلة الكاتبة فانصرف الى قراءتهما . ووضع الكولونيل نظارته فوق عينيه ، وشرع يتصفح الخطابات التي تنتظر توقيعهم

وتصفح اشندن التقرير بسرعة ثم أعاد تلاوته بمزيد من التمعن . ويبدو ان شندرالال كان مهيجا من اخطر المهيجين . وحرقتة الاملية التحاماة ، بيد انه احترف السياسة وصار من أعدى أعداء الحكم

الانجليزى فى الهند . ومن يؤمنون بضرورة استخدام القوة المسلحة
وفى كثير من حوادث الشعب التى اهدرت فيها الدماء كان لشندرالال
اصبح كبير . وقبض عليه مرة وحوكم وادين وقضى فى السجن
سنتين . فلما كانت بداية الحرب ، وكان قد اطلق سراحه ، انتهز
الفرصة وبدا يستعد للتمرد المسلح الصريح . ومنذ ذلك الوقت وهو
فى قلب كل مؤامرة لاحراج الحكم الانجليزى فى الهند ، حتى يحصل
ذلك بين انجلترا ونقل القوات من هناك الى ميدان الحرب فى أوروبا .
وكان الالمان يقدقون عليه مبالغ طائلة من المال ، مما يتيح له الانفاق
على تلك المؤامرات والاضطرابات الواسعة المدى . وقد ثبت اشتراكه
وتدبيره لاكثر من عملية نسف بالقنابل ، ازهقت فيها ارواح الابرياء
من المارة واصيبت الممتلكات باضرار . وكان لها اثر كبير فى هز اعصاب
الراى العام وافساد الروح المعنوية . واستطاع شندرالال ان يفلت
من جميع المحاولات التى بذلت لاقاء القبض عليه . وكان نشاطه
هائلا ، يكثر من التنقل هنا وهناك ومع هذا عجزت الشرطة عن
ايقاعه فى شباكههم وهو عندما يؤلب الجماهير فى مدينة ما ، فانه
لا يلبث ان يفادرها بعد ان يفرغ من مهمته بها

واخيرا رصدت جائزة كبرى للارشاد اليه ففر من الهند الى امريكا .
ومن هناك انتقل الى السويد ثم الى برلين . وفى برلين جعل همسه
بذر بذور الشقاق بين القوات الهندية التى جىء بها الى أوروبا

كل ذلك ذكره التقرير بطريقة جافة من غير تعليق ان توضيح .
ولكنك من خلال السطور تحس بروح الغموض والغامرة والقسوة
الخارقة على الافلات من المخاطر فى جراءة وجسامة . وجاء فى ختام
التقرير ما يلى :

« وشندرالال له زوجة فى الهند وطفلان . وليست له علاقات
نسائية ولا يدخن او يشرب الخمر ، ويقال انه أمين . وهو ذو شجاعة
قائقة وجلد على العمل . ويقال انه شديد الاعتزاز بمحافظته على
وعده »

ولما انتهى اشغتن من التقرير اعاده الى الكولونيل فسأله :

... وما راىك

... انه يبدو متعصبا جدا وشديد الخطورة

والواقع ان اشندن كان يرى في شخصية شندرالال كثيرا من عناصر
الرومانتيكية الجذابة ، ولكنه كان حريصا على عدم الافضاء بهذا الى
الكولونيل الذي لا يفقه تلك العواطف . وقال الكولونيل :

— الحقيقة يا اشندن انه اخطر متأمر ضدنا داخل الهند وخارجها
على السواء . وقد أوقع بنا من الخسائر اكثر مما أوقعه سائر الهنود
مجتمعين . فانت تعلم ان هناك عصابة كبيرة من هؤلاء الهنود المصاة
في برلين . ولكن هذا الرجل هو العصب المحرك لهم جميعا . فان
استطعنا ان نخرجه من الميدان لم تعد لهم ادنى اهمية لانه الوحيد
من بينهم الذي اوتى اللكاه . ولى الآن اكثر من سنة وانا احاول
الاقناع به . ولكن كنت اياس من امكان ذلك . الى ان لاحظت لى
الفرصة اخيرا . وسوف انتهبها واقبض عليه

— وماذا عساك تصنع به ؟

فضحك الكولونيل وقال :

— اطلق عليه الرصاص بلا امهال !

ولم يجب اشندن . ونهض الكولونيل فجعل يلدغ الحجرة مرة
او مرتين ثم وقف وظهره الى المدقاة وواجه اشندن وعلى شفثيه
التحيفتين ابتسامة ساخرة . وقال :

— هل لاحظت ما جاء في ختام التقرير الذى اطلمتكم عليه من انه
ليست له علاقات نسائية ؟

— نعم

— كان هذا صحيحا . ولكنه الآن غير صحيح . لقد وقع المغفل
في الحب الى اذنيه !

واتجه الكولونيل الى حافظة الاوراق الموضوعة فوق المنضدة
وأخرج منها حزمة مربوطة بشريط ازرق باهتة من الحرير ، وقال :

— انظر ! هاهي ذى خطاباته الغرامية . وانت رجل تؤلف روايات .
وقد يروق لك ان تطالعها . بل انك في الواقع لابد ان تطالعها لانها
ستساعدك على معالجة الموقف . فنخذ هذه الخطابات معك . وان
الانسان ليعجب كيف يسمح رجل قدير ، مثل شندرالال ، لنفسه
بالتدله في حب امرأة . انها آخر ماكنت اتوقعه من تصرفاته

فمرق اشندن عندئذ الورد الموضوع في الزهرية فوق المنضدة ولم

بقل شيئا . ولم تفت هذه النظرة عين الكولونيل الفاحصة فقطب وجهه ولكنه لم يقل شيئا . وعاد الى الموضوع :

— ليس من شأننا على كل حال ان نعلق على افعاله . المهم ان شندرالال يحب امرأة تسمى جوليا لازارى الى درجة الجنون . وهل تعلم كيف تعرف بها ؟

— طبعا اعرف كيف تعرف بها ! انها راقصة . تخصصت في الرقص الاسباني ولكنها ايطالية الجنسية . وقد اتخذت اسما فنيا لها هو « لاملاجونيا » . ولعلك تعلم ذلك النوع من الرقص على موسيقى اسبانية شعبية مع استعمال حرملة المصارعين الحمراء ومروحة ومشط عال . وقد ظلت ترقص في أرجاء أوروبا طيلة السنوات العشر الماضية .
٣ وما مستواها ؟

— سيء جدا . كانت تعمل في إنجلترا بملاهي الاقاليم ، ثم عملت بعض الوقت في لندن ولم يزد اجرها على عشرة جنيهات في الاسبوع . ولقد التقى بها شندرالال في برلين حينما كانت تعمل في أحد الملاهي الرخيصة هناك . وادعتقد انها في جولاتها الأوروبية كانت تعتبر قيامها بالرقص مجرد وسيلة لرفع قيمتها واجرها كعومس . ولكن كيف وصلت الى برلين في زمن الحرب ؟

— كانت متزوجة في وقت ما من اسباني . واعتقد انها لم تزل معه ولكنها لا يعيشان معا . فكانت تنتقل بجواز سفر اسباني يسمح لها بدخول دول المحور . ويبدو ان شندرالال وقع في هواها من اول وهلة

وتعمن الكولونيل في الصورة الفوتوغرافية قليلا ثم استطرد :

— ما كان الانسان ليعتقد ان هناك اية جاذبية خاصة لذلك الزنجي الدهني التكوين . يا الهى ! ما اشد قابليتهم للبدانة ! ولكن مما لاشك فيه ان الفتاة احبته مثلما احبها . فتحت يدي مسور خطاباتها اليه . اما الخطابات الاصلية فتحت يده . وانا واثق انه يحتفظ بها مربوطة بشريط قرمزي ، انها مجنونة به . وانا لست من رجال الادب . ولكن اطنى اعرف رفة الصدق . وانت ستطالع هذه الخطابات على كل حال وتخبرني برايك فيها . ومن العجب ان

الناس يقولون انه لا وجود لشيء اسمه الحب من اول نظرة
وابتسم الكولونيل في تهكم يسير . فقد كان بغير شك معتسدا
المزاج هذا الصباح . . . وساله اشندن :

— وكيف حصلت على كل هذه الخطابات الخصوصية ؟

— كيف حصلت عليها ؟ انها ايطالية المولد ، ولذلك كانت تطرد
بين حين وحين من ألمانيا الى الحدود الهولندية . ولما كانت لديها
عقود للرقص في انجلترا فقد سمحنا لها بدخول بريطانيا . وعلى
هذا الاساس ابشرت في ٢٤ أكتوبر الماضي من روتردام الى هارويتش
ورقصت في ملاهى لندن وبرمنجهام وبورتسموث وغيرها . . .
قبض عليها منذ اسبوعين في مدينة هل

— وما السبب ؟

— الجاسوسية . ثم نقلت من هل الى لندن وقد توجهت بنفسى
فقابلتها في سجن هولواى

وتبادل اشندن والكولونيل النظرات برهة من غير أن يتكلما .
ولعل كلا منهما كان يحاول بكل جهده ان يقرأ افكار الآخر . وكان
اشندن يتساءل عن مدى الصدق في كلمات الكولونيل . ولذا سألته :
— ولكن كيف توصلتم الى كشف حقيقتها ؟

— لقد ترامى لى انه من القريب حقا ان يسمح لها الاطلاق بالرقص
في امان مدة اسابيع متوالية في برلين ، ثم فجأة ومن غير سبب ظاهر
يقررون اخراجها من البلاد . ان ذلك يبدو تمهيدا جيدا لقيامها
بالتجسس . ولا سيما لان الراقصة التى لا تحرم كثيرا على مفتها
يمكن ان تصل اليها معلومات ثمينة تدفع برلين فيها ثمنا عاليا .
فلما طلبت الاذن بدخول انجلترا رايت ان اسمح لها بالحضور كي
تبين ماذا وراها بالضبط . وابقيت عيني عسيها ، فاكشفت انها
كانت ترسل خطاباتنا الى عنوان ما في هوانسدا مرتين او ثلاثا كل
اسبوع . ومرتين او ثلاثا كل اسبوع كانت تتلقى ردودا من هولندا
وكانت رسائلها مكتوبة بخليط عجيب من الفرنسية والالمانية
والانجليزية . فهى تتكلم الانجليزية بصعوبة وعلى لغة . ولكنها
تتكلم الفرنسية بطلاقة . اما الردود فكانت مكتوبة كلها بالانجليزية .
وبانجليزية مبنية التركيب . ولكنها ليست انجليزية رجل انجيزى

فهو ذات أسلوب زخرفي يميل للجزالة والقمخامة . فكنت اتساءل من عساه يكون كاتب هذه الخطابات . وكانت الخطابات في مظهرها رسائل غرام عادية ولكنها من النوع الشديد السخونة . وكان واضحا جدا انها مرسله من ألمانيا ، وأن الكاتب ليس انجليزيا ولا فرنسيا ولا ألمانيا . فلماذا اذن يكتب بهذه الانجليزية ؟ ان الاجانب الوحيدين الذين يعرفون الانجليزية خذ ا من معرفتهم لاي لغة اوروبية اخرى هم المشارقة وخاصة الهنود . وهكذا خلصت الى أن حبيب جوليا أحد أفراد العصبة الهندية التي تدبر الشغب في برلين . ولم يخطر ببالى انه شندرالال بنفسه الا عندما عثرت على الصورة الفوتوغرافية

— وكيف حصلت على هذه الصورة ؟

— كانت تحملها معها أينما ذهبت ، وتحفظ بها في حقيبتها المغلقة مع مجموعة كبيرة من الصور المسرحية لفننين ومهرجين ولاعبى السرك . فكان من الممكن جدا أن يظن الناظر ان تلك الصورة لأحد الفنانين في ثياب التمثيل . والواقع اننا عندما قبضنا عليها فيما بعد وسألناها عن صاحب الصورة قالت انها لا تعرفه . وأنه مراف هندي أمطأها أياها وليست لديها أية فكرة عن اسمه . وكنت قد نديت لهذه المهمة فتى أريبا قطنا . وقع لديه موقع الغرابة ان تكون هذه هي الصورة الوحيدة في المجموعة التي صنعت في كلكتا . ووجد على ظهرها رقما فأخذ الرقم في مفكرته وأعاد الصورة الى الحقيبة كما كانت

— ولكن كيف استطاع فتاك الأريب أن تصل يده الى الصورة ؟
فومضت عينا الكولونيل وقال :

— ليس هذا من شأنك . ولكنى لا أرى مانعا من التصريح لك بأنه كان فتى ونسيما عقد معها صلة غرامية ، وأخذت تطلعته على تذكاراتها . والمهم اننا عندما حصلنا على رقم الصورة ابرقنا الى كلكتا فجاءنا الرد بأن عتيق جوليا هو شندرالال الذى كنا نظنه فتى الصفحة . وبعدها شددت الرقابة على جوليا ، فلاحظت انها تبدي ميلا خاصا لفئة ضباط البحرية . وأنا شخصا لا ألومها على ذلك لان ضباط البحرية فيهم جاذبية . ولكن ليس من الحكمة ان نترك ذوات العفة الجريحة والجنسية المريية يختلطن بهم كثيرا في زمن

الحرب . وفي زمن وجيز جمعت أدلة كثيرة ضدها

- وكيف كانت توصل معلوماتها الى الاعداء ؟

- لم تكن توصل معلوماتها الى الاعداء . ولم تحاول ذلك . لم تكن جاسوسة فالالمان طردوها من بلادهم فعلا . ولكنها كانت تعمل الحسب شندرالال شخصيا . وقد ربيت امرها بعد انتهاء عقس عملها في انجلترا ان تعود الى هولندا لتلتقى به هناك ، وتفضي اليه بكل ما جمعته من المعلومات . ولكنها لم تكن بارمة في عملها ، بل كانت عصبية . ولكن طبيعة مهنتها اتاحت لها جمع معلومات قيمة . وفي احدى رسائلها الى شندرالال قالت له بخيطها اللغوي العجيب « ادى الكثير لافضي به اليك يا حبيبي الصغير . مما يهيك كثيرا ان تعرفه » وكانت هذه الجملة الاخيرة بالفرنسية وقد وضعت تحتها خطا

وسكت الكولونيل قليلا وجعل يفرك يديه . وكان وجهه الجهد قد ارتسمت عليه امارات سرود شيطاني بدهائه ، ثم استطرذ :

- وبطبيعة الحال لم يكن يهمني امر تجسسها في قليل او كثير لان همى كله كان موجها الى شندرالال . فبمجرد القاء القبض عليها دبرت من القرائن ما يكفي لاعدام فرقة كاملة من الجواسيس

ووضع الكولونيل يديه في جيوبه وارتسمت على شفقيه ابتسامة كالحة ، وهو يقول لي :

- وسجن هولوداي ليس جنة الفردوس كما تعلم

- لا اظن اى سجن يمكن ان يكون جنة الفردوس !

- ولا سيما هذا السجن بالذات . وقد اعطيت التعليمات اللازمة وتركتها الى ان « نضجت » مدة اسبوع ، قبل ان ابعث في طلبها فوجدتها في حالة عصبية متداعية . واخبرتني السجانة انها اميبتت بتوبات هستيرية عنيفة معظم الوقت . فلا عجب ان بدت كالشبح

3

- اهي جميلة ؟

- سترهاها بنفسك . وهي على كل حال ليست من النوع الذي يروق لي شخصيا . واظنها تكون اجمل منظرا عندما تتم زينتها وتضع المساحيق على وجهها . وقد خاطبتها بكل قسوة وانزلت بها الرعب الجهنمي . وهي بطبيعة الحال نفتت كل شيء . ولكن الادلة

كانت تحت يدي ، وقد أهممها جيدا انه * نجاة لها من العقوبة الصارمة . وقضيت معها ثلاث ساعات انتهت بالهيارها أمامي فاعترفت بكل شيء . وعمدند وعدهتها بإخلاء سبيلها اذا استدرجت سندرالال الى الاراضي الفرنسية . فرفضت على الفور رفضا يانا ، وقالت انها تفضل الموت على ذلك . وتشنجت اعصابها فتركها تهرف ، ثم قلت لها اني سأتركها لتظن الى نفسها وتفكر في اقتراحى مدة يومين . ولكنى تعمدت ان امرتها اسبوعا بأكمله . فلما دعوتها لمقابلتى ، وجدتها مستعدة لتنفيذ ما طلبته منها بغير مناقشة . فانهمتها كل شيء بغاية الوضوح ، وقبلت بلا معارضة .

— لم افهم بالضبط ما ترمى اليه

— حقا ؟ اظن المسألة من اوضح ما يكون لاقبل الناس ذكاء . فلما انها استطاعت ان تستدرج سندرالال كي يعبر الحدود السويسرية الى فرنسا فاني سأطلق سراحها وأوصلها بأمان الى حدود اسبانيا او الى أمريكا الجنوبية على حسابنا الخاص

— ولكن كيف بحق الشيطان يمكن ان تستدرج سندرالال للحضور ؟

— انه مجنون بحبها ، وفي اشد الشوق للقائها . وخطاباته اليها كما ترى تنم عن شغف جنونى . وقد جعلتها تكتب اليه قائلة انه تعذر عليها الحصول على تأشيرة دخول الى هولندا ، حيث كان مقررا ان تقابله . ولكنها تستطيع الحصول على تأشيرة دخول الى سويسرا . وسويسرا بلد محايد يستطيع ان يأسن فيه على نفسه . وقد تلقف هذه الفرصة وارسل بعدها باللقاء في لوزان

— وبعد ؟

— وعندما يصل الى لوزان سيجد خطابا منها تبغه ان السلطات الفرنسية رفضت ان تسمح لها باجتياز الحدود السويسرية . وأنها لهذا السبب قررت التوجه الى تونون وهي البلدة الفرنسية التى تقابل لوزان على شاطئه البحيرة . وبينهما خط مواصلات بالزوارق البخارية كما تعلم . وتطلب منه ان يوافيها هناك في تونون

— وما الذى يحدو بك الى الاعتقاد بأنه سيلبى رغبتها ؟

فسكت الكولونيل برهة ثم نظر الى اشندن باسمه ، وقال .
يجب ان تحمله على الحضور الى هناك اذا كانت رغبة حقا
في الافلات من عقوبة الاشغال الشاقة الموبدة
... فهمت ؟

... انها ستصل من انجلترا هذا المساء تحت الحراسة واريد
منك ان تصحبها الى بلدة تونون في قطار الليل
فصاح اشندن قائلا :

... انا ؟

... نعم انت . لاني اظن هذا العمل من الاعمال التي تصلح لها
جدنا . فالمفروض انك روائي ، ولهذا تعرف عن الطبيعة البشرية
اكثر مما يعرف اكثرية الناس . وسيكون من الممتع لك ان تقضي
اسبوعا او اسبوعين في تونون . فهي مكان صغير جميل ومن الاماكن
السياحية الراقية في زمن السلم . وتستطيع ان تستمتع هناك
بالاستحمام ؟

فقاطعه اشندن قائلا :

... وماذا تريد مني ان اصنع عندما اصل مع هذه السيدة الى
تونون ، فيما عدا الاستحمام طبعاً ؟
... اني اترك يدك مطلقة في التصرف . وكل ما هناك اني مسجنت
بضع ملاحظات قد تكون ذات فائدة لك في مهمتك . فهل اتلوها
عليك ؟

واصفى اشندن بانتباه شديد . وكانت خطة الكولونيل سهلة
واضحة . فلم يسع اشندن سوى الشعور مرغما بالاعجاب بالعقل
المآكر الذي دبر هذا التدبير المحكم

وبعد الانتهاء من التلاوة اقترح الكولونيل ان يخرجوا معا لتناول
الغداء . وطلب من اشندن ان يأخذه الى مكان يستطيعان فيه
مشاهدة البارزين في الهيئة الاجتماعية

وراق لاشندن ان يرى الكولونيل الصارم الحازم في ممله ، يبدو
مرتبكا خجولا في المطعم الفاخر . ثم يتكلم بصوت أعلى مما ينبغي
قليلا ، ليحاول الظهور بمظهر من هو على سجيته

ان حركانه كشفت لاشندن مدى الحياة الضيقة المتواضعة التي

عاشها الكولونيل الى ان رفعته مقدرات الحرب الى هذه المكانة الخطيرة . وبدا عليه السرور العميق لوجوده في ذلك المطعم الاثيق ملاصقا لاصحاب المجد ، واصحاب الاسماء الشهيرة في العاصمة الفرنسية . ولكنه كان كالتلميذ المراهق في اول بنطلون طويل يرتديه . واغضى امام عيسى كبير السقاة البراقطين ، وراحت نظراته تجوب أرجاء المطعم بعد ذلك في اغتباط وزهو لا يخلو من خجل يسير

واسترعى اشندن انتباهه الى امرأة قبيحة ترتدي ثوبا اسود ولكنها ذات قوام جميل وتزين نحرها بعقد طويل من اللآلئ ، وقال له :

— هذه مدام دبوريد . عشيقته الفرانديك تيودور . ولعلها من اعظم النساء نفوذا في أوروبا . وهي يقينا من ادها من ونظر اليها الكولونيل قليلا ثم احمر وجهه وقال :

— هذه هي الحياة وايم الحق !

ورمقه اشندن صامتا . فالترف شيء خطير التأثير على من لم يالفوه . ان اغراءه شديد على من يفاجأون به . فهاهو ذا الكولونيل الحصيف الداهية وقد سلب له هذا المنظر اليراق الذي امامه ويعد ان فرغا من تناول غذائهما ، وشرعا بشربان القهوة وقد ارتسمت علامات الرضا التام على وجه الكولونيل ، عاد اشندن الى الموضوع :

— هذا الهندي لا بد انه شخصية ممتازة ؟

— انه ذكي العقل طيبا

— ان الانسان لا يمكن ان يخلو من الإعجاب برجل استطاع ان يتناسب في شجاعة وبمفرده تقريبا السلطة البريطانية في الهند فقال الكولونيل بلهجة قاطعة :

— لو كنت في مكانك اا أضفيت عليه شيئا من عواطفى . فهو في الواقع ليس سوى مجرم خطير . انه كان يستخدم القنابل الزمنية في ارهاق ارواح بريئة فقال اشندن :

— لا اظن انه كان يعمد الى استخدام القنابل الزمنية او غير

الرمزية لو كان تحت يده بضعة الوية . ان الرجل يستخدم الاسلحة
التي تناح له . ولا اخالك نميب عليه ذلك ، ولا سيما انه بعد كل
حساب لا يرمى الى هدف شخصي . اليس كذلك ؟ انه يرمى الى
تحرير وطنه . وكل جريته اننا نحصل ذلك الوطن . فكل شيء
يدل على ان له في تصرفاته نحونا ما يبررها تبريرا قويا

وكانما كان اشندن يتكلم لغة صبية ! فقد قال الكولونيل :

— هذا تخريب فيه تصف شديد للامور . وهذه على كل حال
موضوعات لا نستطيع ان نخوض فيها . ومهتنا ان نضع يدنا عليه .
ومتى تم لنا ذلك نقتله رميا بالرصاص

فلم يسع اشندن الا ان يقول :

— طبعاً طبعاً . لقد اعلن علينا الحرب ويجب ان يتحمل تبعه
ذلك . وانا من جهتي سأنفذ تعليماتك بدقة . هذا هو واجبي .
ولكني لا ارى مانعا مع ذلك من الاعجاب بالرجل واحترامه

فنظر الكولونيل الى اشندن وقد عادت اليه صرامته وحزمه
وقال :

— لست واثقا ايها اصلح لهذا الطراز من المهام . اهو الرجل
الذي يتفعل بما يمارسه من عمل ، ام الذي لا تتحرك عواطفه
بشيء . وهناك من يشغى غليلهم الايقاع باحد اعداء الوطن ، كأنها
خدمة شخصية ادبت لهم او ثار شخصي اخذوه . ومثل هؤلاء
يؤدون عملهم بحماسة ، اما انت فالمسألة في نظرك لاتعدو لعبة
رياضية ، او مباراة شطرنج من غير حقد على الاعداء والخصوم .
بل ومع الاعجاب بهم احيانا . ولكن طرازك يصلح لمهام معينة اكثر
من سواها

ولم يجب اشندن ، ودفع حساب الفداء ثم اقل واجما مع
الكولونيل الى الفندق



الفصل الثامن

جوليا

كان موعد انطلاق القطار في الساعة الثامنة . فلما فرغ اشندن من ترتيب حقائبه أخذ بذرع افريز المحطة . ووجد جوليا لازاري في إحدى عربات القطار . ولكنها كانت جالسة في ركن مشيخة عن مسقط الضوء فلم يستطع ان يتبين وجهها . وكانت في حراسة اثنين من رجال البوليس السرى الفرنسى ، تسلمها من رجال البوليس الانجليزى في بولونيا ، وكان أحد الشرطيين قد عمل مع اشندن في منطقة الحدود الفرنسية المشرفة على بحيرة جنيف . فأوما لأشندن بالتحية ثم قال

— سألت السيدة ان كانت تحب ان تتناول العشاء في عربة الطعام ولكنها فضلت ان تتناوله هنا ولهذا طلبت من عربة الطعام اعداد سلة للعشاء . فهل هذا الاجراء صائب ؟

— نعم

— وسنتناوب انا وزميلي الذهاب الى عربة الطعام بحيث لايقوم السيدة وحدها ...

— أحسنت . وسأحضر من عربتي بعد قيام القطار لأجاذبها اطراف الحديث قليلا

فقال المخبر :

— انها ليست مستعدة تماما للانطلاق في الكلام

— لست أتوقع منها ذلك الاستعداد

وانصرف اشندن فتناول طعامه . وكانت جوليا لازاري تختتم طعامها عندما عاد اليها . وينظرة خاطفة الى سلة انطعام أدرك ان شهينها للطعام لم تكن ضئيلة للغاية . وأوما اشندن الى المخبر

الذى فتح الباب فتركهما وحدهما

ورمقنه جوليا بنظرة شذراء . فقال وهو يجلس قبالتها :
- أرجو أن يكونوا قد أحضروا لك كل ماطلبته من الوان الطعام ؟
فأحنت رأسها ولم تتكلم . فأخرج عليه سجائره وقال لها :
- الك في سيجارة ؟

فألقت عليه نظرة ثم ظهر عليها التردد ، وبعد ذلك تناولت
سيجارة من غير أن تنطق بكلمة . وأشعل أشندن عود تقاب فأوقد.
سيجارتها ، وانتهاز الفرصة لينظر الى وجهها في ضوء التقاب .
واستولت عليه النهضة . فهو لسب ما كان يتوقع أن يجدها
شذراء . ولعل ذلك لاعتقاد سابق لديه أن المشاركة أحرى أن
تستهويهن الشقراوات . ولكنها سمراء داكنة تقريبا . وشعرها
تخفيه تبة ضيقة ، ولكن عينيها سوداوان كأنهما قطعتان من
الفحم الحجري . ولم تكن صغيرة السن . فلعلها كانت في الخامسة
والثلاثين . وبشرتها كثيرة الغضون كالحة . كما كان وجهها خاليا
تماما من المساحيق ، فبدت في منظر متهدم . ولم يكن في مرآها
شيء جميل سوى عينيها الرائعتين

وكان جسمها ضخما بحيث ظن أشندن أنها لايمكن أن تؤدي
بهذا الجسم رقصاتها فيرشاقة . ولاسيما اذا ارتدت ثياب الرقص
الاسبانية . ولكن لعل أضواء المسرح ، وثياب الرقص الزاهية ،
تضفى عليها شيئا من الفتنة . أما وهي على هذه الحالة في القطار ،
فلايمكن أن يتصور المرء سر هيام ذلك الثائر الهندي بها . . .

وعلى ضوء التقاب رمقت أشندن بنظرة تحاول بها سير غورده .
فهي بغير شك كانت تتسائل فيما بينها وبين نفسها أى طراز من
الرجال عساه يكون

ونفثت سحابة من الدخان من أنفها ، وأخذت تتابع تلك السحابة
بنظراتها برهة ، ثم ردت بصرها الى أشندن . واستطاع أن يغلظ
الى أن هدوءها ليس الا قسلا . وأنها في الواقع كانت متوترة
الاعصاب مرتاعة . وكانت تتكلم الفرنسية بلهجة ايطالية . قالت :
- من أنت ؟

- اسمى لايعنى شيئا بالنسبة لك ياسيدتى . حسبك أن تعلمي

اتنى فاهب الى تونون . وقد حجزت لك غرفة في فندق لابلاس .
 وهو الفندق الوحيد الذى يفتح ابوابه هناك في هذا الفصل من
 السنة . واعتقد أنك سنجدين الإقامة فيه مريحة
 - أه ! أنت اذن الذى حدثنى الكولونيل عنك . أنت سجانى
 - من الناحية الشكلية فقط ، وإن اتطعل عليك
 - أنت سجانى على كل حال ...
 - وأرجو على كل حال الا يدوم ذلك مدة طويلة . فانى احمل
 في جيبى جواز سفرك وقد استكملت فيه جميع الاجراءات
 الشكلية والرسمية للسماح لك بالسفر الى اسبانيا
 فالتت بنفسها الى ركن العربية ، وظهر على وجهها الشساحب
 وعينيها السوداوين الكبيرتين مستهى اليأس ، ثم قالت :
 - هذا شيء فطيع . واظننى كنتاموت سعيدة لو اننى استنطعت
 ان اقتل ذلك الكولونيل العجوز . انه رجل بلا قلب . ما اشقانى
 - اخشى ان تكونى قد اوقعت نفسك في مازق شديد العوج .
 ألم تكونى تعلمين ان الجاسوسية لعبة خطيرة ؟
 - انى لم ابع اى سر من اسراركم . لم ارتكب سوءا
 - وذلك يقينا لانه لم نتح لك الفرصة . وانت فيما فهمت قد
 وقعت على اعتراف كامل معصل
 وكان اشندن يتحدث اليها بأرق ما يستطيع من عبارة ، وكأنه
 الى حد ما يتحدث الى شخص مريض . فلم تكن فى صوته ادنى
 خشونة
 - أجل كنت مفعلة الى حد كبير فكتبت الخطاب الذى حملنى
 الكولونيل على كتابته . فلماذا لا يكتفى بذلك ؟ ما الذى يحدث لى
 ان لم يجب ؟ انا لا استطيع ان اكرهه على الحضور ان كان لا يريد
 ان يحضر
 فقال لها اشندن :
 - لقد وصل رده بالفعل . وانا احمله معى
 فاحفظت واضطرب صوتها وقالت :
 - اوه . ارنى جوابه . اتوسل اليك ان تدعنى اطلع عليه
 - ليس عندى مانع من ذلك . ولكن يجب ان تعيده الى بعد
 تلاوته

— أعدك بذلك

وأخرج خطاب شندرالال من جيبه وأعطاهما إياه . فاخترطته من يده اختطافا والتهمته بعينيها . وكان نماني صفحات . واخذت الدموع وهي تقرأ تنهمر على وجنتيها . وفيما بين شسبهقاتها وزفراتها كانت تنسم بعبارة الحب ، وتنادى الكاتب بأعذب أسماء التدله والتعجب بالفرنسية والإيطالية . وكان ذلك الخطاب هو الذي كتبه شندرالال ، ردا على خطابها الذي قالت له فيه بناء على تعليمات الكولونيل أنها ستقابله في سويسرا . فكاد يجن من الفرح بتلك الفرصة . وعبر لها في صفحات خطابه الملتهبة عن بطن الوقت وطوله عليه منذ افترقا ، وكيف كان يصبو اليها ، ويتحرق شوقا الى رؤياها . والآن وقد تقرر أن يلتقى بها مرة أخرى قريبا فهو لا يدري كيف سيتسنى له أن يتحمل الانتظار وقد عيل صبره . وما أن أنتت تلاوة الخطاب حتى انفجرت أصابعها فسقط على الأرض ، وقالت في ياس شديد :

— هانتدا ترى كم يحبنى . ألسنت ترى ذلك ؟ ما من شك في هذا . صدقتى فانا ذات خبرة في هذا الأمر

وعندئذ سألها أشندن :

— وانت ؟

— ماذا تعنى ؟

— وانت هل تحببته حقا ؟

— انه الرجل الوحيد الذي كان عطوفا على . وليست الحياة التي يحيها من يعملون في اللاهى بالحياة المرحة المربحة . فهم يتنقلون في جميع أرجاء أوروبا ، ولايسستقرون أبدا . والرجال الذين يترددون على تلك الاماكن ليسوا دائما من ذوى الرجولة . ولذا ظننت في البداية انه رجل كالأخرين من الرواد . . .

والتقط أشندن الخطاب من على الأرض ووضع في جيبه ثم قال لها :

— لقد أرسلنا باسمك برقية الى العنوان المتفق عليه في هولندا ، نخبره انك ستكرنين في فندق جييونز بمدينة لوزان في اليوم الرابع عشر

فقلت جوليا بدهشة :

- يعنى غدا .

- بالضبط .

فرفعت رأسها ولمعت بيناهما وقالت :

- ما اقيح هذا الذى ترغموننى على فعله ارغاما . انه لشائن

- مامن احد يرمك على فعله

- واذا لم افعل ؟

فقال اشندن بهدوء تام :

- اخشى ما اخشاه انك ستضطرين لتجمل نتيجة ذلك

فصرخت :

- يعنى السجن ؟

- بالتأكيد

فاشتد صراخها :

- لا استطع ان اذهب الى السجن . لا استطع . لا استطع .

غير معقول ان افضى كل تلك السنوات في الاشغال الشاقة

- اذا كان الكولونيل قال لك انك ستعاينين بالاشغال الشاقة

فثقتى ان ذلك صحيح . انه امر غير مستحيل الحدوث

- انا اعرفه . اعرف هذا الوجه الذى ينطق بالقسوة . ان مثله

لا يعرف الرحمة . واذا خرجت بعد سنوات من السجن مع

الاشغال الشاقة ماذا يكون مصرى ؟ ماذا يكون قيد بقى منى ؟

كلا كلا

وفي هذه اللحظة وقف القطار في احدى المحطات ونقر على زجاج

الباب الخبير المنتظر في الدهليز ، ففتح اشندن الباب فاعطاه الرجل

بطاقة بريد من النوع المصور . وكانت الصورة تمثل منظرا سخيفا

لمحطة يونترالييه على الحدود الفرنسية السويسرية . وقدم اليها

اشندن قلم رصاص قائلا :

- اكتبى هذه البطاقة الى جيبك ، وشرسلها من مكتب بريد

يونترالييه . واجعلى العنوان على الفندق في لوزان

فمرقته جوليا بنظرة قاسية ، ولكنها لم تتكلم وتناولت القلم

وكتبت ما املاء عليها . وختم الاملاء .

« لقد تأخرت على الحدود ، ولكن اطمئن وانتظرنى فى لوزان »
ثم تناول منها بطاقة البريد وقراها ليطمئن على أنها كتبت
ما أملاه عليها حقاً ، ثم تناول قبعته وقال :

— والآن أتركك . وأرجو أن تستطيعى النوم . وسأحضر فى
الصباح لأصحبك عندما نصل الى تونون

وكان المخبر الآخر قد عاد من تناول طعامه فلما خرج أشندن
من العربة دخل الرجلان وانزوت جوليا فى ركنها . وأعطى أشندن
بطاقة البريد الى رسول كان ينتظر كي يحملها الى بونرلييه ،
واتجه أشندن على الأثر نحو عربة نومه

وكان الصباح منمسا صحوا رغم برودة الجو عندما وصلوا
الى وجههم وسلم أشندن حقائبه الى حمال وسار فوق الأفرز
الى حيث كانت جوليا لازارى واقفة بين المحبرين . وأوما أشندن
اليهما برأسه :

— طاب صباحكما . لاجابة بكما الى الانتظار بعد

فرغنا قبعتيهما وودما المرأة وانصرفا . فسأته :

— الى اين هما ذاهبان ؟

— الى غير رجعة . سوف لا يضايقانك بعد الآن

— هل انا فى حراستك اذن ؟

— لست فى حراسة احد . كل ما هناك انى سأسمح لنفسى
بمرافقتك الى فندقك ثم أتركك . لانه عليك أن تحاولى الحصول
على قسط من الراحة

وحمل أشندن حقائبها ثم خرج الانسان من المحطة . وكانت
هناك عربة فى انتظارهما ، فطلب منها أشندن بكل أدب ان تركيها .
وكانت الرحلة الى الفندق طويلة شيئاً ما . وبين الحين والحين
كان يشعر بانها ترمقه بنظرة جانبية ، رغم أنها كانت بادية الحيرة
أما أشندن فجلس صامتا لا ينطق بكلمة . ولما وصلا الى الفندق
الصغير القائم وسط منظر بديع للفاية ، مسحهما المدير الى
الحجرة التى أعدت لنزول مدام لازارى . فقال له أشندن بعد
أن نفقدها :

— انها على مايرام . سأنزول بعد دقيقة

فأخضى مدير الفندق وانسحب وتركهما وحدهما . وعندئذ قال أشندن :

— سأبذل كل ما فى وسعى لتوفير أسباب الراحة لك ياسيدتى . وثقى أنك هنا سيده نفسك ، ومن حقا أن تطلبى أى شىء تصبو نفسك إليه . وانت فى نظر مدير الفندق نزيلة كأتى نزيل آخر فى الفندق . أنت حرة تمام الحرية

فسألته بسرعة :

— وحررة أيضا فى الخروج ؟

— طبعاً . لك أن تخرجى كما تشائين

فأقلت متهكمة :

— وعلى كل جانب من جانبى شرطى فيما اعتقد !

— كلا . أنك حرة الحركات فى هذا الفندق كأنك فى منزلك تماما . وحررة فى الخروج من الفندق والعسودة إليه كلما راق لك ذلك . وأحب أن أحصل منك على تأكيد بأنك لن تكتبى خطابات بغير علمى . ولا أن تحاولى مغادرة تونون من غير اذنى

فرمقت أشندن بنظرة طويلة ولم تستطع أن تسبر غوره ولا أن تفهم سر هذا التيسير ، وبدا عليها كأنها فى حلم ، ثم قالت :

— ائى فى موقف يرغبنى على تقديم جميع التأكيدات التى تطلبها منى . ولذا أصدق ومد الشرف ائى لن أكتب خطاباً من غير أن أطلعك عليه ، ولن أحاول مغادرة هذه البلدة — شكراً لك . والآن ساتركك . وسوف يسعدنى أن ائى لزيارتك غدا صباحاً . طاب يومك

وأخضى أشندن رأسه ثم انصرف . ومر بمركز الشرطة ف قضى فيه خمس دقائق ليتأكد من أن جميع الترتيبات على مايرام ثم استقل العربة ، وصعد التل الى بيت منزول عند مشارف البلدة كان ينزل فيه كلما جاء إليها فى زيارته الدورية

وطاب له أن يستحم ويحلق ذقنه ، ويريح قدميه فى الخف الرخو وشعر برغبة فى الاسترخاء ف قضى بقية الصباح يطالع قصة

وفى جنح الظلام جاءه شرطى من مركز الشرطة اسمه فليكس وكان قدومه فى الليل بسبب الرغبة فى عدم لفت الانظار الى أشندن

حتى وهو في الاراضي الفرنسية . وكان فليكس فونسيا تصير القامة
اسمر اللون ، له عينان ثاقبتان وذئب غير حليق ، وبرتدي بلنة
رمادية اللون بعيدة عن الاناقة والحدة ، فكان مظهره ائسبه يكاتب
مخام مسطل

وقدم اشندن الى هذا الجندي كاسا من السيد وجلس الاثنان
بجوار نار المدفأة . تم قال فليكس :

- ان تلك السيدة لم تضيع وقتها سدى . فبعد وصولها الى
الفندق بربع ساعة غادرتة ومعها حرمه من السياب والحلى الرخيصة
فباعتها في دكان قريب من سوق البلده . ولما وصل الزورق بعد
الظهر الى الميناء ذهبت الى الرصيف وابتاعت تذكرة الى ايفيان
وايفيان هي المكان التالي لنونون في الاراضي الفرنسية على شاطئ
بحيرة لوزان . ومن هنسالك يعبر الزورق البحيرة الى الاراضي
السويسرية

واسطررد فليكس :

- ولما كانت بطبيعة الحال لا تحصل جواز سفر لم يسمحوا لها
بركوب الزورق

- ولكن كيف نسرت علم حصولها على جواز سفر ؟

- قالت انها نسيتها . وقالت انها على موعد لمقابلة اصدقاء لها
في ايفيان . وحاولت ان تقنع الموظف المختص بتركها تسافر . بل
وحاولت ايضا ان تدس في راحة يده مائة فرنك
فقال اشندن :

- لا بد انها اغبي مما كنت اتصور



ولما توجه في اليوم التالي في نحو الساعة الحادية عشرة صباحا
لمقابلتها لم يسر من قريب او بعيد الى محاولتها الفرار . وكانت
الفرصة قد ابيحت لها كي تنسق مظهرها فوجد نسمرها مرجلا
ترجيلا تاما بعناية فائقة . وقد ظلت شفيتها وخديها ، وبدت احسن
مظهرا بكثير مما رآها لأول مرة

وقال لها اشندن :

- لقد احضرت اليك بضعة كتب

— لماذا ؟

— اختى أن يكون الوقت بطينا ثقيل الوطأة عليك

— وماذا يضرك من ذلك ؟

— لست لدى رغبة على الاطلاق في ان معانى اى نوع من الالم
استطيع تجنبك اياه . وسأترك لك هذه الكتب على كل حال وفي
استطاعتك ان تقرئها أو لا تقرئها على حسب ما ينراى لك
— آه لو علمت كم كرهتك !

— ان هذا طبعاً لا يسعدنى . ولكنى فى الحقيقة لا ارى مبرراً
لحقدك على . فأنا اؤدى الواجب المفروض على وانفذ الاوامر ليس الا
فسألته باقتضاب :

— ماذا تريد منى الآن ؟ فلا اخالك جشمت نفسك الحضور لكى
تطمئن على صحتى فحسب !
فابتسم اشندن وقال :

— اريد منك ان تكتبى خطاباً الى حبيبك تقولين فيه ، انه بسبب
نقص بعض الاجراءات السككية فى جواز سفرك رفضت السلطات
المويسرية ان تسمح لك باجتياز الحدود ، ولهذا جئت الى هنا
حيث الموقع جميل جدا وهادىء جدا ، هادىء الى درجة يصعب
معه ان يصدق الانسان بان هناك حربا عالية . وتختمين رسالتك
بان تقترحى على شندرالال الحضور كى يلحق بك هنا
فرمته جوليا بنظرة حادة وقالت :

— وهل تظن شندرالال ابله ؟ انه سيرفض الحضور
— فى هذه الحالة يجب عليك ان تبدلى أقصى ما فى وسعك لافرائه
بالحضور

فنظرت جوليا الى اشندن طويلا من غير ان تجيب . وخامره
الظن بانها كانت تتداول فى الامر بينها وبين نفسها . فلعلها بكتابة
الخطاب المطلوب والتظاهر بالرضوخ التام تكسب فسحة من الوقت
وأخيرا قالت جوليا :

— حسنا . امل على وساكتب ما تريد

فابتسم اشندن ابتسامة ماكرة وقال :

— بل أفضل ان تكون الرسالة من انشائك وبطريحتك الغريفة

العنادة بينكما

- استخفى نصف ساعة وسكون الخطاب معدا

فقال أشندن بهدوء

- سأنتظر هذد النصف ساعة هنا

فسأله بدهسة

- لماذا ؟

فقال بهدوء حازم :

- لاني أوتر ذلك

فومضت عنهاها بار الغضب ، بيد أنها تحكمت في أعصابها ولم تقل شيئا . وكانت على منضدتها أدوات للكتابة ، فجلست ويدات تكسب

والا قدمت الى أشندن الخطاب بعد فراقها من تحريره لاحظ أن شحوبها كان واضحا تحت طلائها الاحمر الثقيل

وكان الخطاب خطاب شخص لم يتمود كثرة استعمال الخبر في التعبير عن نفسه . ولكن الخطاب كان وافيا بالعرض . وكانت عبارات الحب نابضة بالحياة والسدق . وضغط أشندن على أعصابه وقال لها :

- والان أضيف هذد العبارة

- فل

- « أن الذي يحمل البك رسالتى رجل سويسرى فى وسعك أن تطمئن اليه طمأنينة مطلقة . فانى لم أحب أن يتعرض خطابى هذا لعيون الرقابة على البريد »

وسأله فى هجاء بعض الكلمات فقال لها :

- اكتبها بهجاءك الخاص . والان اكتبى العنوان على مطروف يخطك ويمدها ساخلصك من سحنى

وسلم أشندن الخطاب الى أحد عملائه السويسريين الذى كان ينتظر كي يحمله عبر البحيرة . وفى مساء ذلك اليوم نفسه اتاهها أشندن بالرد فانتزعته من يديه وضغطته فوق قلبها لحظة قبل أن تطالعه . ولما طالعه أطلقت صرخة ارتياح :

- لن ياتى

وكان الخطاب مكتوبا بتلك الانجليزية المزركشة الاسلوب ، وقد عبر فيها الهندي عن حيبة امله المريرة وكيف انه كان يتطلع في شوق ولهفة الى لقائها . وتوسل اليها بتوسلات حارة أن تفعل كل ما يمكن في تدليل العقبات التي حالت بينها وبين عبور الحدود السويسرية . وأكد لها انه من المستحيل عليه ان يأتى الى تونس بأية صورة . فهناك ثمن غال في صورة جائزة لمن يأتى برأسه حيا أو ميتا . ومن الجنون ان يجازف برأسه ، ثم أردف ذلك بمباراة مازحة :
- « ولا أظنك راغبة في ان يعدم بالرصاص حبيبك الاسمر البدين يا ريحانة قلبي »

وعادت جوليا تقول في سرور فائق :

- لن يأتى . لن يأتى

- يجب ان تكتبي اليه مرة اخرى لتؤكدى له انه لا مخاطرة على الاطلاق

- لن يصدقنى

- سيصدقك اذا قلت له انه لو كانت هناك اية مخاطرة لما جال بفكرك لحظة واحدة ان تطلبى منه القدم . وقولى له ايضا انه ان كان يكن لك حبا صادقا فلن يتردد هكذا في الاجتماع بك وانت على يد كيلومترات قليلة

- بن اكتب اليه شيئا من هذا

- لا تكونى بلهاء . فكبرى في مصرك ؟

فانفجرت فجأة تبكى بدموع غزيرة . ثم القت بنفسها على الارض وتعلقت بركبتى اشتدتن متوسلة اليه ان يرحمها .

- انا على اتم استعداد ان ابلل لك أى شيء في الدنيا ان انت تركتني اذهب لحال سبيلى . اذهب اليه

فقال اشتدتن :

- ما اسخفك ؟ انظنينتى اريد ان اكون شيقك ؟ اسغى بصوت

العقل وفكرى في مصرك

فنهضت واقفة على قدميها وتبدلت فجأة من التقيض الى التقيض : تبدلت من التوسل والتضرع الى الفيظ والنعمة والغضب واخذت تقذف في وجه اشتدتن بأقذع انواع السباب والتموت كالسيل

الجارف . فقال :

— انا افضل سبائك على نوسلاتك . ذلك افضل لى . والآن اما
ان مكبى كما امرتك او ارسل فى طلب الشرطة !
سولكنه ان نائى . كل هذا مجهود ضائع
فقال اتسند باصرار :

— من مصلحتك ان تغريه بالحضور

فنظرت اليه بدهشة وقالت :

— ماذا تعنى بذلك ؟ اتعنى اننى حى لو بذلت كل ماى وسمى
وفسلت فمع ذلك سوف ...

وظهر الدهر فى عينيها ولم تجسر على اتمام عبارتها . فاوما
اتسند براسه فى هدوء وحزم وقال :

— نعم . اما هو واما انت !

فترنحت . ورفعت يدها الى قلبها . ثم مدت يدها من غير ان
تنطق الى القلم والورق . وسطرت خطبا لم يرق فى نظر اتسند
فحملها على امادة المحاولة . ولما فرغت منه ارتمت فوق الفراش
وانفجرت مرة اخرى فى توبة عاصفة من البكاء

كان حزنها صادقا . ولكن تعبرها عنه كان لا يخلو من عنصر
مسرعى . وذلك ما خفف من وطأة نائرها على اتسند

وساعد اتسند على تحمل الموقف انه كان يطر اليها نظرة خالية
من العامل الشخصى كنظرة الطبيب الى الم يمجز طه عن تخفيفه .
وادرك الآن لماذا اخناره الكولونيل لهذه المهمة بالذات



الفصل التاسع

ثورة عارمة

ولم يرها اشندن في اليوم التالي . فان الرد على خطابها لم يسلم اليه الا بعد وجبة العشاء ، عندما احضره فليكس الي بيت اشندن الصغير . وسأل اشندن الشرطي الفرنسي :

... ماذا وراءك من الاخبار ؟

فابتسم الفرنسي ، وقال :

... ان صاحبتنا بدا اليأس يستولي على قلبها . وبعد ظهر اليوم سارت الي المحطة في اللحظة التي كان احد القطارات يتأهب فيها للرحيل الي ليون . ورايتها تنظر في طول الرصيف وعرضه في تردد . فالتجهد نحوها وسألها بكل ادب وحزم ان كانت في حاجة الي اى شيء استطيع ان اؤديه لها . وقدمت لها نفسى باعتبارى مخبرا في ادارة الامن العام

... وماذا قالت لك ؟

فازدادت ابتسامة الفرنسي اسما وهو يقول :

... اقسم لك لو ان النظرات كانت كافية للقتل ، لما وجدتني الان واقفا بين يديك ا

فقال اشندن :

... اجلس يا صديقي

... شكرا لك . وما كان منها بعد ذلك الا ان انصرفت من المحطة . وكان واضحا انها ايقنت بعيب محاولة ركوب القطار . ولكنها لم تقف مكتوفة اليدين . بل هناك شيء مشير حقا للاهتمام اقدمت عليه تلك السيدة ، واريد ان افضى به اليك

... وما هو ؟

— عرضت الف فرنك على نوتى يملك قارباً فوقاً بحيرة لوزان
كى يعبر بها البحيرة الى الشاطئ السويسرى
فظهر الاهتمام على وجه اشندن وقال له :
— وماذا كان رد النوتى ؟
— انه لا يستطيع الاقلام على هذه المخاطرة
— وبعد ؟

فهر المخبر الفرنسى كتفيه وابتسم قائلاً :
— فطلبت اليه ان يقابلها على الطريق المفضى الى ايفيان فى الساعة
العاشرة من هذه الليلة ، كى تستأنف مفاوضاته فى هذا الموضوع .
وقد لاحت له من طريق خفى بانها لن ترفض بكل ابله وشمم وغبته
فى الاختلاء بها اختلاء فراميا . ولما قال لى الرجل ذلك قلت له اتنى
لا ابالى ماذا يكون بينه وبينها ، فذلك شأنه وحده مادام سيأتى
بعدها ويفضى الى بكل ماله أهمية من الحديث
وساله اشندن عندئذ :

— هل انت متأكد باناه اهل للثقة ؟
— جداً . فهو لا يعرف شيئاً بالطبع سوى انها تحت رقابة شرطة
الامن . فلا حاجة بك الى القلق من جهته . انه فتى يعتمد عليه ،
وقد عرفته منذ طفولته

وقرا اشندن رسالة شندرالال فاذا بها تفيض باللهفة والهيام
هياما حقيقيا يدل على حب صادق كأصدق ما يعرفه اشندن عن
الحب عند الناس . وقد حدثها فى الخطاب كيف يجد الساعات
طويلة طويلة وهو يقضيها فى السير على قلميه على شاطئ البحيرة ،
وعيناه متعلقتان بالشاطئ الآخر ، شاطئ فرنسا ؟ وكيف انهما
قريبان غاية القرب ، وبينهما مع ذلك اقصى حائل عازل
وحدثها مرة اخرى فى عبارات كثيرة مكررة المعنى انه لا يستطيع
ان ياتى اليها . وتضرع اليها الا تلج فى ذلك الطلب . فهو خليق
ان يقدم على اى شئ فى الدنيا من أجلها . اما هذا فلا يجسر على
الاقدام عليه . ومع ذلك فلو لاحت فكيف عساه يجد قدرة فى نفسه
على المقاومة ؟

وتوسل اليها ان تشفق عليه . ثم اطلق صرخة الم ممض فى

عبارات طويلة مؤثرة لأنه يجب أن يرحل من غير أن يراها . وسألها
أن تبحث عن أية وسيلة للتسلل من الحدود والحضور إليه . ثم
أقسم أنه لو أتيح له أن يضمها بين ذراعيه لما أفلتها ولا سمح أن
يكون بينهما فراق مادام حيا

كانت عباراته ملتهبة تكاد تحرق صفحات خطابه . كانت
رسالة رجل سلب الالم عقله ...

وسأل أشندن المخبر الفرنسي :

... ومتى تتوقع أن تسمع نتيجة مقابلتها مع النوتى ؟

فقال الفرنسي :

... لقد رمت معه الأمر بحيث أقابله في الميناء فيما بين الحادية

مشرة ومنتصف الليل

فقال أشندن وهو ينهص :

... سأتى معك

ومشى الاثنان فهبطا التل الذى يقوم على قمته البيت المنعزل ،

ثم عرجا على الميناء ووقفا بالقرب من ادارة الجمرى . وبعد برهة

من الانتظار أقبل نحوهما رجل ، فخرج فليكس من الظل الذى

خفيهما وقال :

... انطوان ؟

فأجاب القادم .

... مسيو فليكس ؟ معى شيء لك

... ماذا تعنى ؟

... اعنى انه شيء يهتك الحصول عليه

... ماهو ؟

... خطاب ومدت أن حملته الى لوزان بنفسى على أول زورق

يقلع من هنا في الصباح

ولم يحاول أشندن أن يسأل الرجل ماذا جرى بينه وبين جوليا

لازارى حتى قبل أن يؤدي لها هذه الخدمة السرية . وتساول

الخطاب ثم استعان بمصباح فليكس الكهربائى على قراءته . وكان

مكتوبا بلغة ألمانية ركيكة كثيرة الاغلاط على قلة كلماته :

« لاتحضر لآى سبب وبأى شكل تحفظ على رسائلى هناك

خطر بحيق بك . احبك . واياك يا حبيبي ان تحضر »
ووضع اشندن الرسالة الصغيرة في جيبه لم اعطى النوتى
خمس مرنكا ، وعاد الى بيته كى ينام
وفى اليوم التالى ذهب اشندن لزيارة جوليا لازارى فوجد باب
حجرها بالغندق مغفلا بالمفتاح . وطل يطرق الباب برهة فاه
ينلق جوابا . فراح يتادبها وهو يهر الباب :
— مدام لازارى ! يجب ان تصحى الباب . اريد ان احدث
اليك

فحاء صوتها من الداخل :
— أنا فى الفراش . مريضة ولا استطيع ان اقبل احدا
فقال اشندن باصرار :
— يوسفنى هذا ولكن يجب ان تفتحى الباب
— قلت لك انى مريضة
— اذن سارسل فى طلب الطبيب
— انصرف . قلت لك لن اقبل احدا فلا تنعب نفسك ا
— ان لم تفتحى الباب سارسل فى طلب صانع الاقفال كى
يفتحة عنوة

وساد الصمت برهة ثم سمع هربير المفتاح يدور فى القفل
ودخل اشندن فرآها فى توب النوم وسرعان ما شعفت . فكان واضحا
انها خرجت لنوها من الفراش
ونظرت اليه بانكسار ، وقالت :

— لقد استنفدت قوتى ولا طاقة لى بعمل شىء . بكفى ان تنظر
الى سحتى لتعرف انى مريضة . والواقع انى كنت مريضة اشعر
بغشيان طول الليل . لم استطع ان انام . رأسى يكاد ينفجر
فقال اشندن :

— لن اسئلك طويلا . اتحبين ان ندعو طبيبا ؟
فمطت شفيتها وقالت بأسى :
— وماذا يستطيع لى الطبيب ؟
فأخرج اشندن من جيبه الخطاب الذى كانت جوليا قد اعطته
للتوتى وقدمه اليها قائلا :

— ما معنى هذا ؟

فشهقت عندما رأت رسالتها واخضر لون وجهها الشاحب

فقال اشندن :

— لقد أعطيتنى وعد الشرف انك لن تحاولى الهرب او اوسال

خطاب الى حبيبك من غير علمى

فصرخت فى فيظ واحتقار :

— وهل خطر ببالك انى ساير بوعدى حقا ؟

فقال اشندن بهدوء :

— كلا . ولا اكتمك اننا لم ننزلك فى هذا الفندق المريح بدلا من

حبسك فى احد السجون المحلية حرصا على راحتك الشخصية

فحسب ، بل انه من الجائز لى ان اصارحك الان انك وان كنت

مطلقة الحرية فى الدخول والخروج كما تشائين ، الا انك لاستطيعين

الافلات من تونون كما لو كنت مقيدة بالسلاسل فى زنزانة سجن .

فمن البلاهة ان تضيعى وقتك فى كتابة خطابات لن تصل الى حيث

تريدين

فصاحت فى وجهه باقصى توتها :

— يالك من خنزير نلر !

فلم يكثرث وقال لها بهدوء حازم :

— ينبغى عليك ان تجلسى الان لتكتبى خطابا سيصل الى حيث

تريد !

— كلا . لن افعل شيئا اكثر مما فعلت . لن اكتب كلمة اخرى

فقال اشندن :

— ولكنك جئت عمى الى هنا على اساس انك ستفعلين اشياء

معينة

فهزت كتفيها وقالت :

— ولكنى لن افعلها . انتهينا !

فاستعان اشندن بمزيد من المنسبر وقال بلهجة لا تخفى فيها

نبرة الوعيد :

— من الخير لك ان تفكرى فى الامر قليلا !

فصاحت وعيناها تومضان بالحقد :

- أفكر قليلا ؟ وهل كنت أصنع شيئا سوى التفكير ؟ لقد
فكرت . ولك أن تصنع بي ما تشاء . فلست أبالي
ولم يفارق أشندن هدوءه وقال :

- جميل جدا . سامحك خمس دقائق مهلة تفكير فيها رأيك
وأخرج ساعته من جيبه وأخذ ينظر إليها ثم جلس على الحافة
السريرة وظل صامتا . فضاقت بذلك الصمت وأخذت تقول :

- لقد اتعب أعصابي وجودي في هذا الفندق . لماذا لم تودعوني
قياية السجن ؟ لماذا ؟ لماذا ؟ ان هذه الحرية الظاهرية التي أتمتع
بها هنا تكاد تظهر صوابي . حرية في الدخول والخروج ولكني أحس
في كل مكان وكل خطوة بالجواسيس في أعقابى . ان ما تصنعونه بي
فظيح ومشين مخجل ! الا خبرني ما هي جريمتي ؟ انى أمالك ما
جريرتي ؟ ماذا صنعت حتى أستوجبيت هذا كله ؟ الست امرأة ؟
ان ما تظلمون مني ان أصنعه فظيح وشائن !

وكانت تتكلم بصوت مرتفع مشدوخ . وظلت تتكلم تباعا الى ان
انتهت الدقائق الخمس وأشندن ساكت لا ينطق بحرف . ثم
نهض واقفا فصرخت في وجهه :

- نعم اذهب ! انصرف منى

وأخذت تقلقه بسباب بلدىء لا يصلح للنشر ، فقال بهدوء :

- ولكنى سأعود !

وعندما خرج من الباب ألقاه بالفتاح من خلفه . ثم نزل السلم
مسرعا الى البهو فكتب رسالة على عجل ونادى ماسح الاحذية
فأرسله بها الى مركز الشرطة . ثم صعد السلم مرة اخرى

وكانت جولينا لازاري قد اذنت بنفسها على الفراش وأدارت
وجهها الى جهة الحائط . وجسمها يهتز بتحيب هستيرى . ولم
تظهر عليها أية علامة تفيد انها سمعته يدخل . فجلس أشندن فوق
مقعد مواجهه لمائدة الزينة وأخذ ينظر الى الادوات المختلفة المتناثرة
فوقها

ولاحظ ان مواد الزينة التي كانت تستعملها رخيصة وليست
مرتبة ولا نظيفة . فهناك يقع كثيرة من الاحمر والكريم البارد متناثرة
على المائدة مع لطنج من الكحل الذي يستخدم للحواجب والرموش .

اما دبائيس الشعر فكانت قبيحة الشكل مغطاة بطبقة دهنية
والواقع أن الحجرة كلها كانت على شيء من الغوضى ، والهواء
فيها ثقيل بما يحمله من رائحة العطر الرخيص . زفكر أشندن في
مئات الحجرات التي لابد أنها نزلت فيها بفنادق الدرجة الثالثة ،
في خلال حياة التجوال التي عاشتها من بلدة ريفية إلى أخرى في
قطر بعد قطر . وتساءل عن أصل شأنها . انها الآن امرأة خستنة
سوقية ، ولكن كيف نراها كانت إبان صباها ؟ انها ليست من ذلك
الطراز من النساء الذي ينتظر منه السير في طريق الفن . لانه من
الواضح انها لا تتمتع بأي شيء من المزايا التي تؤهلها لذلك . تم
خطر بباله انها ربما كانت منحدره من أسرة لاعبي سيرك . ففي
جميع أنحاء العالم عائلات من لاعبي السيرك كان أبناؤهم بالوراثة
يحترفون الفن ، لانهم ولدوا في رحابه . أو لعلمها كانت عشيقه
أحد الممثلين الصغار فأدخلها حظيرة الرقص

كم من الرجال عرفت في حياتها طيلة تلك السنين ؟ ما بين رملاء
في التمثيل والاسنراض ووكلاء للفنانين ومديري فرق ممن يرون
من حقهم الطبيعي أن يعاشروها . ثم هناك التجار وأعيان الأرياف
وأبناء الأسرات الذين يرون من أوليات الوجاهة أن يحظوا براقصات
الفرق المتجولة التي تنزل بالبلدة ليلة أو بضع ليال !

وهؤلاء كانوا في نظرها بالطبع هم مصدر الأيراد الذي تعيش
منه ، فكانت تتقبلهم ببرود مهني . ولكن بالنسبة لهم لعلمها كانت
تمثل المغامرة والذكريات الساخنة التي يدخرها الشبان لسنوات
الشيخوخة أو الاستقرار في الحياة الزوجية

وفجأة طرق الباب طارق فصاح أشندن على الفور :
- أدخل !

ووثبت جوليا لازاري جالسة في فراشها وصاحت :
- من ؟

وظهر عليها الروع عندما رأت المخبرين اللذين أحضراها من
بولونيا وسلمهاها إلى أشندن في تونون يدخلان عليها فصرخت :
- أنتما ؟ ماذا تريدان ؟

فصاح أحدهما في صوت فقط يوحى بأنه لن يتردد في استخدام
العنف :

— هيا . قومي

وقال أشندن بركة ظاهرية :

— أخشى يا مدام لازارى أنه لا مفر لك من القيام

— ولكن لماذا ؟

— لاننى سأسلمك مرة اخرى لعناية هذين السيدين

فصرخت جوليا :

— ولكن كيف أنهض ؟ قلت لك انى مريضة . لا أستطيع الوقوف

العلك تريد أن تقتلنى ؟

فلم يكثر أشندن وقال لها

— ان لم ترندى ثيابك بتفبيك سنضطر الى ان نقوم بذلك نيابة

عنا . واخشى اننا لن نستطيع ذلك بمهارة كافية . فمن الخير لك

ان تقومي لانه لا فائدة من هذه المراوغة

فسالته جوليا :

— ولكن الى اين تريد ان تأخذنى ؟

— سيأخذك ليعودا بك الى انجلترا

ومد احد المخبرين يده فقبض على ذراعها بعنف . فصرخت

بغضب :

— اياك أن تلمسنى الا تقترب منى !

فقال له أشندن :

— دعها وشأنها . انا واثق انها تستوب الى عقلها وتدرک انه من

الخير لها الا تثير التاصب

فقالت جوليا :

— سارتدى ثيابى

وجعل أشندن يرمقها وهي تطلع ثوب النوم وتلبس ثوبا للخروج

ثم تحشر قدميها حشرا في حذاء كان اصفر من حجميها بشكل

واضح . ثم ربت شعرها . وبين حين وآخر كانت ترمق المخبرين

بنظرات شذراء

وتساءل أشندن فيما بينه وبين نفسه : ترى هل ستجد لديها

الجسارة على المضى في العناد والرفض ؟ ان الكولونيل سيعتبره

مغفلا غيبا اذا اخفق في مهمته . نولكنه في قرارة نفسه كان يتمنى

لو أنها وجدت في نفسها الصلابة الكافية للمضي في الرفض الى النهاية
كى تتقد حبيبها شندرالال

واتجهت جوليا الى مائدة الزينة فوق اشندن ليشيح لها
الجلوس . وجلست امام المراة فوضعت على توجهها الكريم بسرمة
تم مسحها بمنشفة قدره ووضعت المساحيق ثم وضعت الكحل في
عينها ويدها ترتجفان وكان الرجال الثلاثة يرقبونها صامتين . ثم
صبغت خديها وفتيها بالاحمر ودست رأسها في قبعة

وأشار اشندن الى أحد المخبرين فأخرج من جيبه الاغلال
الحديدية وتقدم نحوها ليصفد معصمها . ولما رأت الاصفاذ
تراجعت الى الوراء في ذعر ، وفتحت ذراعيها على سمعتها وأخذت
تصرخ :

— كلا كلا . لا أريد . الا هذا !

فقال المخبر في فظاظه :

— هيا يافتاتي . لا تكوني بلهاء

وإذا بها تأتي بحركة دهش لها اشندن غاية الدهشة ، فقد ألقت
بذراعيها حول عنقه كأنها تلمس منه الحماية ، وصاحت :

— لا تدعها ياخذاتي . ارحمني ! لا أستطيع ! لا أستطيع !

وخلص اشندن نفسه من ذراعيها وقال :

— لا أستطيع لك شيئا بكل أسف

وقبض المخبر على معصمها ، وأوشك أن يضعهما في الاصفاذ
وإذا بها تطلق صرخة عظيمة وتلقى بنفسها على الارض وتصبح :

— سأفعل ما تريد مني . سأفعل كل شيء !

وأشار اشندن الى المخبرين فغادرا الحجرة . وتمهل بعدها برهة
الى أن استمادت هديرها . وكانت متبطحة على الارض تنتحب بكل
عنف . فتقدم منها وأنهضها على قدميها ثم اجلسها

وقالت بين الشهيق :

— ماذا تريد مني ؟

— أريد منك أن تكتبي خطابا آخر الى شندرالال

— ان راسي به دوامة ولن أستطيع ان أكتب جملة واحدة . يجب

أن تمهلى بعض الوقت

وتحير أشندن بين الرحمة والحكمة . ثم رأى أنه من الخير أن ينتهز فرصة فزعها الشديد كي تكتب الخطاب قبل أن تسترد شجاعته وتعود إلى التمرد والرفض .
- ساملى الخطاب عليك . ولكن يجب أن تكتبى ما أمله عليك بالضبط .

فندت عنها زفرة محرقة ، ثم تناولت القلم والورق وجلست أمامه إلى منضدة الزينة وقالت .
- إذا فعلت ما تريد . . ونجحت خطتك . كيف لى أن اعلم انكم ستطلقون سراحي ؟
فقال لها أشندن :

- لقد وعدك الكولونيل بذلك . وثقى انى سأنفذ تعليماته بحذافيرها وأطلق سراحك متى وصل صاحبك إلى هنا .
- لا شك انى اكون أشد الناس ففلة اذا انا خنت حبيبي ثم تلقون بى فى السجن بعدها
فقال لها أشندن مترفقا :
- سابين لك أعظم ضمان لصدق وعدنا
- ما هو ؟

- أنه لا أهمية لك عندنا شخصيا اطلاقا فيما عدا كونك طعما لاستدراج شندرالال . فلماذا نجشم أنفسنا المتعصب والتفقات لاستضافتك فى السجن وحررتك لا ضرر منها لنا ؟
وفكرت فى كلامه لحظة ثم عاد إليها هدوؤها وقالت بلهجة عملية :
- خبرنى ماذا تريدنى أن اكتب ؟

وتردد أشندن . لقد خيل إليه أنه سيستطيع تقليد طريقتها فى كتابة رسائلها بسهولة . وهامو ذا يجد الامر صيرا . فلا بد من انقان اللهجة المناسبة وأن يخلو الاسلوب من النقسافة واثارها البيانية . ولكن الموقف لا بد له أيضا من لهجة بعيدة عن بساطة الحديث العادى . وأخيرا جمع أمره وأملى عليها ما اعتبره المسهم الاخير فى كنانته للحصول على الفريسة

الفصل العاشر

الفريسة

.. أكتبى ..

« لم أكن أعلم أنني أحببت جيسانا رسديدا ... فلو أنك كنت تحبني حقاً لما أمكنك أن تتردد على هذه الصورة عندما طلبت منك أن تأتي ... (وضعى خطاً تحت لما أمكنك ... وقد ومدتك أنه ليس هناك خطر محقق . فان كنت لا تحبني فخيراً صنعت إذ لم تات . لا تات ! عد الى برلين حيث تشعر بالامان والطمانينة . لقد سئمت هذه اللعبة . أنا هنا وحيدة مريضة . أمرضنى انتظارك وأنا أمنى نفسى كل يوم أنك ستأتى . فلو كنت تحبني لما ترددت هكذا . لقد تبين لى الآن أنك لا تحبني . نفسى سئمتك . وليس عندى مال . وهذا الفندق فظيع . ثم لم يعد هناك ما يدعو لبقائى فيه ، وفى استطاعتي أن احصل على اتفاق للعمل فى باريس . ولى هناك صديق عرض على عروضاً جديدة مغرية . وقد أضعت وقتاً طويلاً معك وبسببك ثم ها هى ذى النتيجة ! على كل حال قد انتهينا . ووداعاً . وأعلم أنك لن تجد امرأة تحبك كما أحببتك أنا . وأنا الآن فى موقف لا أستطيع معه أن أرفض اقتراح صديقى ، ولذا أرسلت اليه برقية بالموافقة على عروضه . وبمجرد وصول رده على برقيتى سآذهب الى باريس . وثق أنتى . لا ألومك على شيء لانك فى الواقع لا تحبني . وهى ليست غلطتك . ولكن يجب أيضاً أن تراعى أنك ، أكون غاية فى الغباء لو تأيرت على أهدار حياتى ، وبضييع الفرص التى لا تتكرر . لأن الشباب لا يدوم الى الأبد . ووداعاً ... جوليا .»

ولما فرغ اشندن من الاملاء طلب منها الخطاب وقراه مرة أخرى

فلم يرض عنه كل الرضا . ولكنه كان افضل ما يستطيع . ولاحظ
ان الاملاء كان عجيبا جدا يصل الى حد الفحش في الخطا الهجائي .
وان الخط كخط طفلة . وما اكرت الكلمات النى شطبتها وكثرت
غيرها عدة مرات وكان قد املاها بعض العبارات بالفرنسية تقليدا
لطريقتها . وقد سقطت دموعها مرتين او ثلاثا على الصفحات
قطعت معالم بعض الكلمات . .

وقال لها اشندن :

- الان اتركك . وربما اتيح لي عندما نلتقى في المرة القادمة ان
اخبرك انك صرت طليقة السراح لتذهبي حيث تشائين . وفي هذه
الحالة احب ان اعرف ابن تنوين الذهب

فقال بطريقة آلية :

- الى اسبانيا

فقال اشندن :

- وهو كذلك . سيكون كل شيء معدا لسفرك
فلم تزد على ان هزت كتفيها . فنركها وانصرف



ولم يعد امام اشندن ما يصنعه سوى ان ينتظر . وأرسل رسولا
الى لوزان بعد الظهر بالرسالة . وفي الصباح التالي ذهب الى
رصيف الميناء لاستقبال الزورق القادم من لوزان

وكانت هناك فاعة انظار مجاورة لمكتب التذاكر . وهناك امر
المخبرين بالتربص وأن يكونا حلي قدم الاستعداد . والمتبع عند
وصول الزورق أن يتقدم الركاب في صف فتفحص جوازات سفرهم
قبل ان يسمح لهم بالنزول الى الشاطئ . فاذا جاء شندرالال
وابرز جواز سفره . ومن المرجح أنه يسافر بجواز مزور صادر في
الغالب من دولة محايدة ، ففي هذه الحالة سيطلبون منه الانظار
ثم يستدعون اشندن ليتحقق من شخصيته . وعندئذ يتم
القبض عليه

وبكثير من توتر الاعصاب جعل اشندن يرقب الزورق وهو يدخل
الميناء ثم شرع يتفحص وجوه الركاب واحدا بعد واحد ، ولكنه لم
يعثر بينهم على أحد يشبه أدنى شبه مسافرا من الهد

شندرالال لم يحضر اذن . . . لم يدر اشندن ماذا يفعل . لقد لعب ورقته الاخيرة . وكان عدد الركاب النازلين في تونون لا يزيد على حفنة قليلة سرعان ما تفرقوا الى حال سبيلهم . وراح اشندن يتمشى فوق الرصيف بخطوات بطيئة ، ثم قال لفليكس الذي كان يفحص جوازات السفر :

- لقد فشلنا . والسيد الذي كنت أنتظر قدومه لم يحضر

فقمز فليكس بعينه ، وقال :

- عندي خطاب يهيك كثيرا

وقدم الى اشندن مطروفا عليه عنوان مدام لازاري . فمرف اشندن على الفور خط يد شندرالال . وقبل ان يفض الظروف لمح الزورق القادم من جنيف ووجهته لوزان . وهذا الزورق يصل الى تونون دائما كل صباح بعد وصول الزورق القادم من لوزان بعشرين دقيقة . وخطرت لاشندن فكرة ومضت في نفسه كأنها يريق الالهام ، فقال لفليكس :

- اين الرجل الذي احضر هذا الخطاب ؟

- انه هناك في مكتب التذاكر

فصاح به اشندن :

- اسرع واعطه الخطاب وقل له ان يعود الى الشخص الذي

سلمه اياه في لوزان

- وماذا يقول له ؟

- يقول له انه حمل الرسالة الى السيدة ولكنها رفضت ان

تسلمها وطلبت منه ان يردها اليه . فاذا طلب منه ذلك الشخص

ان يحمل خطابا آخر الى السيدة ، فعليه ان يقول له ان ذلك لا فائدة

منه لان السيدة كانت بصدد حزم حقائبها والرحيل عن تونون

وبعد ان تأكد من تلك الاجراءات خرج اشندن عائدا الى البيت

الصغير القائم فوق التل

كان موعد الزورق التالي الذي يمكن ان يصل عليه شندرا

الساعة الخامسة تقريبا . وفي هذا الموعد بالذات كان لدى اشندن

ارتباط سابق لمقابلة احد عملائه الذين يعملون في ألمانيا . فتمه فليكس

إلى أنه قد يتأخر في الحضور إلى الميناء بضع دقائق

وعلى كل حال إذا حدث أن حضر شندرالال فمن السهل حجزه ولا ضرر من تأخره . فلا حاجة ماسة إلى العجلة لأن القطار الذي سيرحل فيه الهندي إلى باريس لا يقوم من تونون إلا بعد الساعة الثامنة

وبعد أن انتهى أشندن من مقابله مع العميل القادم من ألمانيا سار متندا إلى رصيف الميناء على شاطئ البحيرة . وكان الوقت لا يزال بعيد الغروب وفي السماء بصيص من نور فاستطاع أن يرى دخان الزورق البخاري وهو مقلع عائدا إلى لوزان

ومن غير أن يفكر وجد نفسه نهيا للقلق وأسرع في خطاه . وفجأة رأى شخصا يجري مقبلا نحوه ، وسرعان ما عرف فيه الرجل الذي حمل الخطاب إلى شندرالال . وأخذ الرجل يصيح به :

- أسرع أسرع ! إنه هنا

فقفز قلب أشندن في صدره قفزة قوية وقال :

- أخيرا !!

وشرع يجري بأقصى سرعته . والرجل يجري بجواره ويحدثه وهو يلثم بتفاصيل ما حدث عندما أعاد الخطاب مغلقا إلى شندرالال :
- عندما وضعت الخطاب في يد الهندي شحبت وجهه شحوبا فظيحا . ولم أكن يا سيدي أعتقد أن رجلا ذاكن البشرة بهذه الصورة يمكن أن يبيض وجهه من أكر الشحوب هكذا . وجعل يقلب الخطاب في يده كأنه لا يستطيع أن يفهم ماذا جاء به ولماذا هو في يده لا في يدها . وانبتقت الدموع من عينيه وأنهرت مدرارا على خديه فكان المنظر فظيحا ومضحكا في آن واحد . لأنه رجل يدين كما تعلم يا سيدي . ثم تتمم بلغة لا أفهمها . وما لبث أن سألني بالفرنسية عن موعد قيام الزورق إلى تونون . وبعد ذلك غادرتي وذهبت إلى الميناء . ولما ركبت الزورق لم أراه بين الركاب . وتقيت منه وأخيرا وجدته منعزلا في مكان وحده وقد أرخى قبعة فوق عينيه . وظل طوال الرحلة شاخص النظرات إلى تونون

وسأله أشندن :

- وأين هو الآن ؟

— لقد سبقته في النزول وأخبرت المسيو فليكس فطلب منى أن
أسرع للاتيان بك . فلا أدري أين هو . وأظنهم قابضين عليه الآن
في حجرة الانتظار

وكان أشندن قد لهث ونال منه التعب عندما وصل إلى الميناء .
فاندفع داخلا إلى قاعة الانتظار . وهناك وجد جماعة من الناس .
وهم يتحدثون جميعا في وقت واحد بأعلى أصواتهم ، ويلوحون
بأيديهم بصورة جنونية ، متجمعين حول رجل ملقى على الأرض

وصاح أشندن :

— ماذا حدث ؟

فقال فليكس :

— انظر !

ونظر أشندن فاذا شندرالال ملقى هناك وميناه جاحظتان والزبه
متجمع فوق شفنيه ، وجسد متخشب ومتقلص بصورة فظيعة .
لقد فارق الحياة

وقال فليكس يشرح الأمر :

— قتل نفسه . وأرسلنا في استئداء الطبيب ولكن الموت كان
أسرع إليه منا

وسرت في جسد أشندن قشعريرة فظيعة

وجلية الأمر أن الهندي عندما نزل من الزورق ، عرفه فليكس
على الفور من الأوصاف التي لديه . وكان عدد الركاب النازلين في
تونون أربعة فقط كان شندرالال الأخير بينهم . فتعمد فليكس
التباطؤ غير المعقول في فحص جوازات سفر الثلاثة الذين قبله . ثم
تناول جواز سفر الهندي . وكان جوازا اسبانيا مستكملا لجميع
الشروط الرسمية

وبدا فليكس يلقي على شندرالال الأسئلة المعهودة على حسب
التعليمات ، ويسجل الأجوبة في الاستمارة كما هو معتاد مع كل
راكب . ولما انتهى من ذلك ولم يكن أشندن قد حضر ، رفع فليكس
عينيه إلى وجه الهندي وأبتسم في دماثة شديدة قائلا :

— أرجو أن تفضل بالتوجه معي إلى قاعة الانتظار لحظة واحدة ،
لأن هناك بضعة أمور شكلية يجب استكمالها

فسأله الهندي

- وهل جواز سفرى ليس مستوفيا من أية ناحية ؟

- انه على مايرام . مجرد شكليات

فبدأ التردد على شندرالال ، ثم تبع الموظف الى باب حجرة الانتظار المقفل . وفتح فليكس له الباب بأدب وتنحنى قائلاً :

- تفضل بالدخول

ودخل شندرالال ، فنهض المخبران واقفين

ولا بد ان شندرالال ارتاب منذ اول وهلة فى انهما من الشرطة ، وأدرك انه سيعقد فى فخ نصب له

وقال له فليكس

- اجلس ياسيدى . فهناك سؤال أو سؤالان أحب ان اوجههما اليك

فقال الهندي :

- الجو هنا شديد الحرارة . ولذا سأخلع معطفى ان سمحت لى بذلك

وفعلا كانت المدفأة مشتعلة فى الحجرة فارتفعت الحرارة فيها كأنها فرن . وقال فليكس بكل لياقة :

- طبعاً يا سيدى . . .

وخلع الهندي معطفه بعد شيء من الجهد الظاهر ، ثم دار حول نفسه ليضعه فوق مقعد . وقبل ان يدركوا ما حدث راوه يترنح امام أعينهم ويخسر صريعاً على الارض . فأنشأ خلع معطفه استطاع شندرالال ان يتجرع محتويات زجاجة صغيرة كانت لا تزال فى قبضة يده

وقرب اشندن أنفه من الزجاجة وشمها ، فوجد لها رائحة شبيهة برائحة اللوز . ووقف الجميع ينظرون الى القتيل واجمين واخيراً سأل فليكس فى اضطراب :

- هل سيفضون لأنه انتحر قبل ان يستجوبوه ؟

فهر اشندن كتفيه وقال :

- سواء غضبوا أو لم بغضبوا فانا لا ارى لك ذنباً . وحسبنا على كل حال أنه لم يعد قادراً على الاستمرار فى الاضرار بمصالح الحلفاء .

ومن جهنى شخصيا أشعر بسرور لأنه قتل نفسه بيده . فان فكرة
اعدامه بيد أعدائه على سبيل الانتقام لم تكن تثلج صدرى بأصدى
وفى هذه اللحظة دخل الطبيب وتحقق من الوفاة ثم قال لأشندن :
— سيانور البوتاسيوم

وهز أشندن رأسه جملة مرات ثم قال :
— سأذهب الآن لزيارة مدام لازارى . وإذا وجدت حالتها العصبية
منهارة ، واحتاجت للإقامة هنا يوما أو يومين آخرين ريثما تستجمع
شئنات قواها فسأسمع لها بذلك . ولكن إذا أرادت أن ترحل الليلة
فسيكون لها ما تريد طبعا . هل لك يامسيو فليكس أن تصدر الأوامر
للمخبرين فى محطة السكة الحديدية كى يركوها تمر ؟
فقال فليكس :

— بل ساكون بنفسى فى المحطة
وشرع أشندن يصعد التل مرة أخرى نحو منزله المنزل . وكان
الليل قد أرخى سدوله . وكان الجو باردا صافيا والسماء خالية من
السحب يرينها هلال كأنه خيط أبيض
وقبل أن يذهب الى منزله عرج على الفندق ونظر الى اثاث البهو
واللوحات السياحية المعلقة على الجدران فى اشمزاز لم يشعر به من
قبل . وصعد السلم وطرق الباب طرقة خفيفة ثم فتح باب حجرة
جوليا

وكانت جوليا جالسة امام مائدة زينتها تتطلع الى وجهها فى المرآة
أما عن سلم او عن ياس . فقد كان واضحا أنها لا تفعل شيئا
وفى صفحة المرآة رأت أشندن داخلا فتغير وجهها فجأة عندما
وقع نظرها على وجهه ، وقفزت واقفة فى عنف حتى ان القعد سقط
على الأرض
وسمعتها تصرخ صائحة :

— ماذا حدث ؟ لماذا انت صاحب الوجه هكذا ؟
ودارت على عقبها وحملت فيه ثم ارتسم الرعب على وجهها .
وقالت لاهثة الانفاس بالفرنسية :
— قد وقع فى أيديكم !
فقال أشندن بصوت اجس :

— بل مات

فصاحت في فرح وحسني :

— مات ! لقد تناول السم اذن ! لقد سنحت له فرصة واتسع
الوقت كي يفعل ذلك ، فأفلت من أيديكم على كل حال
فقال لها أشندن بدهشة :

— ماذا تعنين ! وكيف عرفت حكاية السم ؟

فضحكت في سخرية وقالت :

— كان يحمل الزجاجية معه دائما ولا تفارقه . كان يقول باستمرار
ان الانجليز لن يظفروا به حيا مهما حدث

وفكر أشندن برهة وشعر بالاعجاب لأنها كتبت ذلك السر بحرص
وعناية . وفطن الآن الى ان تلك الفكرة كان ينبغي أن تخاطر له .
وأخيرا قال لها :

— انت الآن حرة تماما . في وسعك ان تذهبي حيث تشائين
ولن تقف في سبيلك اية عقبة . ها هي ذى تذكرة سفرك كما
وعدتك . وها هو ذا حواز السفر . وها هي ذى النقود التي كانت
في حوزتك حينما القى القبض عليك

وسكت قليلا ثم سألتها :

— اريد ان تلقى نظرة أخيرة عليه ؟

فأجفلت وصاحت :

— كلا كلا !

فقال لها أشندن :

— لا لا ضرورة لذلك حقا . ولكن خطر ببالي انك ربما هناك ان
تلقى عليه نظرة أخيرة . . .

لم تبتك . وقلد أشندن انها استنفدت قبل هذه الصدمة انفعالاتها
وطاقتها . واستطرد يقول لها :

— ستصل الليلة برقية الى الحدود الاسبانية وبها تعليمات الى
سلطات الحدود بتسهيل مرورك . فان أردت قبول نصحي بحسن ان
تغادري الاراضي الفرنسية بأسرع ما تستطيعين

ولم تقل شيئا . ظلت ساكنة . ولما كان لم يعد لدى أشندن
ما يقوله ، تاهب للانصراف وقال لها :

— يؤسفنى اننى كنت مضطرا لاستعمال الشدة معك . ويسرنى ان أسوأ ما فى متاعبك قد انتهى . واتفقنى ان يمر الزمان حزتك الشديد ، بسبب موت صديقك

ثم انحنى اشندن واتجه نحو الباب . ولكنها استوقفته قائلة :
— وريدك لحظة

فالتفت نحوها متسائلا فقالت :

— هناك شيء واحد أحب ان اطلبه منك . واظن ان قلبك لا يخلو من جذوة رقة ...

فقال اشندن بكل اخلاص :

— تقى اننى مستعد ان اصنع من اجلك كل ما استطيع
فسأته فى هدوء تام :

— ماذا تراهم سيصنعون بأشيائه التى كان يحملها ؟

فظهرت الدهشة على وجه اشندن وقال لها :

— لا ادرى . ولكن لماذا تسألين ؟

وعندئذ قالت شيئا اذهل اشندن فوقف مبهوتا . قالت آخر

ما كان يتوقع ان يسمعه منها :

— ان ساعة معصمه كانت هدية منى فى عيد الميلاد الاخير . وقد

كلفتنى اتى عشر جنيهها . وامامى ايام قاسية . فهل لك فى ان

تساعدنى على استردادها ... ؟



جوستاف

عندما قرر الكولونيل ارسال اتسندن الى سويسرا ليسرف على مجموعة من الجواسيس الذين يعملون لحساب انجلترا من هناك ، أحب ان يطلع على نموذج للتقارير التي يتطلب منه الحصول على مثلها . ولذا سلمه مجموعة من الوثائق المكتوبة على الآلة الكاتبة ، صادرة من رجل يعرف في ادارته الاخبارات تحت اسم جوستاف ، وهو اسم مستعار بالطبع . وقال الكولونيل :

... انه افضل جاسوس يعمل لحسابنا هناك . والمعلومات التي يزودنا بها كاملة باستمرار ، وشاملة لجميع التفاصيل ، ومناسبة لظروفها وأوقاتها . وأريد منك ان تمرر تقارير هذا الرجل اقصى عنايتك . وجوستاف بطبيعة الحال شخص ذكي بارع جدا بصورة خارقة ، ولكن هذا لا يمنع من حصولنا على تقارير تضاهيها في الجودة والدقة من العملاء الآخرين . وذلك لا يبطل سوى ان نشرح لهم بالضبط ماذا نريد منهم . وهسلدا الشرح هو مهمتك بصفتك المسرف المباشر عليهم . والأساس او المستوى الذي تطالبهم بتحقيقه في تقاريرهم هو مستوى تقارير جوستاف هذه !

وجوستاف يقيم بصفة اساسية في مدينة بال . وهو مندوب شركة سويسرية لها فروع في المدن الألمانية الهامة مثل فرانكفورت وماتهايم وكولونيا . وبسبب عمله في الشركة كان متاحا له ان يذهب الى ألمانيا ويعود منها بصورة دورية وبشكل طبيعي خال من كل مجازفة

وكانت رحلاته في منطقة الراين الخطيرة . ومن هناك كان يجمع المعلومات عن تحركات الجيوش ، وصناعة الدخائر والاسلحة ، وعن

الحالة المعوية للشعب . وهذه مسألة كان يهتم بها الكولونيل اهتماما
لائقا . فضلا عن المسائل الأخرى التي كان الحلفاء يطلبون المعلومات
السفيسة عنها

وكانت حطاناته الكثيرة التي زوجته في بال أثناء رحلاته داخل
المابيا تخفى بين سطورها سعة خاصة . وبمجرد تسلمها لتلك
الحطانات . كانت ترسلها أولا بأول إلى أشتندن حيث يقيم في
جنيف . فيستخرج من هذه الحطانات الحقائق الهامة ويلقها إلى
الجهات المختصة في الحال

ومرة كل شهرين كان جوستاف يعود إلى بيته ووطنه ، وبعد
تقرر من تلك التقارير التي اعتبرها الكولونيل نموذجا ينبغي أن
يسمح على مواله الجواسيس الأخرى في ذلك القطاع بالذات من
إدارة المخابرات

كان الرؤساء راضين عن جوستاف . وكان الأسباب مهية كي
يرضى جوستاف عن رؤسائه . لأن خدماته كانت مفيدة ونافعة ،
بحيث كان يتقاضى عنها لا اجرا أعلى من أجور الجواسيس الأخرين
فحسب ، بل كان يتقاضى أيضا بين الحين والحين مكافآت سخية
على خدمات لها امتياز خاص

واسنجر الحال على هذا الموال أكثر من سنة ثم حدث شيء ما
أثار رغبة الكولونيل السريعة . فقد كان الكولونيل رجلا يتصف بيقظة
مدهسة ، لا ترجع إلى قوة العقل في الغالب ، بل إلى قوة غريزية
خاصة فيه . وبوحى هذه الغريزة شعر فجأة أن هناك شيئا على غير
ما يرام . ولم يفص بسوء محدد عن دواعي هذه الرية إلى أشتندن .
لأن الكولونيل كان من أقدر الناس على كتمان خواطرهم الخاصة مهما
كان نوعها ، ولكنه طلب إليه أن يذهب إلى بال - وكان جوستاف
في ذلك الحين بالمانيا - وأن يتحدث إلى زوجة جوستاف . وترك
لأشتندن حرية التصرف في إدارة الحديث معها من غير تحديد

ولما وصل أشتندن إلى بال ترك حقيقته في المحطة لأنه لم يكن
يدري هل سيبقى في المدينة أم يرحل عنها في نفس اليوم . واستقل
الشرايم إلى رأس الشارع الذي يسكن فيه جوستاف . ولما نزل من
الشرايم التي نظرة سريعة ليثبين هل هناك من يتبعه أم لا . ثم اتجه

الى البيت الذى بفسده

وكان البيت عماره من عمارة سكنية توحى اليك بفاقة يسترها
التعفف . وغلب على ظن اشندن ان السكان من الكتبة وصغار التجار
وأصحاب الحرف . ومن داخل باب العمارة مباشرة وجد دكان
اسكاف . فوقف عنده اشندن وسأله بلغنه الالمانية المعترة ستما ما :

— هل الهر جراباو يسكن هنا ؟

فأجابيه الاسكاف على الفور :

— نعم . وقد رأيتيه يصعد الى مسكنه منذ دقائق قليلة .

ستجده هناك

وأخذ اشندن بهذا القول . لأنه تلقى فى اليوم السابق مباشرة من
زوجة جوستاف خطابا مرسلا من زوجها اليها من مدينة مانهايم ،
يتضمن بطريقه سفرتة الخاصة ارقام قرى معينة فى الجينس الالماني
قال انها عبرت نهر الراين

ورأى اشندن من الفعلة ان يسأل الاسكاف ذلك السؤال الذى
قفز الى سفتبه . واكتفى بأن سكر الرجل وصعد الى الطابق الثالث
حيث كان يعلم من قبل ان جوستاف يسكن جناحا منه

ودق اشندن الجرس وسمع رنينه فى الداخل ، وبعد لحظة فتح
الباب رجل قصير القامة ذو رأس حليق مستدير ، وعلى عينيه
نظارة ، وفى قدميه خف مما يلبس فى المنزل

وسأله اشندن :

— الهر جراباو ؟

فقال جوستاف :

— فى خدمتك

— هل تسمح لى بالدخول ؟

وكان جوستاف واقفا وظهره الى الضوء فلم يستطع اشندن ان
يتبين نظراته وسحنه عندئذ . ولكنه شعر ان الرجل تردد ترددا
يسيرا ، فنطق اشندن باسمه السرى الذى يتلقى بمقتضاه خطابات
جوستاف من المانيا . فقال على الفور :

— ادخل . ادخل . انى سعيد جدا بلقائك

وقاده جوستاف الى غرفة صغيرة مزدحمة ثقيلة الهواء ، اثائها

من خشب البلوط الذخيم المقوش . وراى اشندن فوق المائدة
الكبيرة المقطاة بمقرش من القطيفة الخضراء آلة كتابة . ويظهر ان
جوستاف كان مشهورا فى تدبيح تقرير من تقاريره الثمينه

وعند النافذة المفتوحة جلست امرأة ترتق الجوارب . وبإشارة
من جوستاف نهضت وجمعت الجوارب وانصرفت . فأدرك اشندن
انه اذعج هدوء اجتماع عائلتي نموذجي فى صفائه . وقال جوستاف :
- أرجو ان تتفضل بالجلوس . ياله من حظ سعيد ان تجدنى
الآن فى بال . فانا منذ مدة طويلة جدا مشوق الى التعرف بك وقد
وصلت فى هذه الدقيفة من المانيا

وأشار الى الأوراق والآلة الكتابة ثم استطرد :

- واعتقد انك ستسر كثيرا من الأنباء التى اتيت بها . فعندى
هذه المرة معلومات قيمة للغاية ...
وضحك ثم قال :

- والانسان لا يسوؤه طبعاً ان يحصل على مكافأة ...

وكان ظريفاً جداً وودوداً . ولكن اشندن أحس بنبرة تكلف . وكان
جوستاف يتكلم وهو مثبت عينيه الباسميتين من خلال منظاره على
وجه اشندن فى يقظة يشوبها نبيء خفيف جداً من القلق ... وقال
له اشندن :

- لا بد أنك أسرعت جداً فى رحلتك حتى أنك وصلت هنا بعد
وصول خطابك ساعات قليلة !

- هذا جائز جداً . ومن الواجب أن أخبرك أن الالمان يرتابون فى
تسرب المعلومات العسكرية عن طريق المراسلات التجارية العادية .
ولذا قرروا أن يستبقوا جميع الرسائل البريدية عند الحدود لمدة
ثمان وأربعين ساعة

فابتسم اشندن وقال بكل ظرف :

- آه . لعلك لهذا السبب اتخذت حيطتك عند تاريخ خطابك
فوضعت عليه تاريخاً متأخراً عن يوم الإرسال بثمان وأربعين ساعة ؟
- هل فعلت ذلك حقاً ؟ ما أشد غيائى لا بد أنى أشكل على
تاريخ اليوم

فنظر اشندن الى جوستاف وهو يبتسم ، فهللا عذر واه جداً .

فجوستاف رجل أعمال وهو لذلك يعرف تمام المعرفة أهمية التاريخ الدقيق في عمله التجاري ، والأهمية القصوى في هذه المهام السرية التي تتعلق بالمخابرات . فمن العناصر الجوهرية لدى القيادة أن تعرف بالضبط اليوم الذي وقعت فيه الأحداث المشار إليها في التقارير والخطابات

وقال أشندن لجوستاف :

— دعني ألقى نظرة على جواز سفرك

— ولماذا تريد أن ترى جواز سفري ؟

— أريد أن أرى تاريخ ذهابك إلى ألمانيا وتاريخ خروجك منها

— ولكن هل تتصور أن جميع سفرياتي من وإلى ألمانيا مسجلة في

جواز سفري ؟

— هذا هو المفروض

— إن لي وسائل خاصة في اجتياز الحدود بصفة غير رسمية

وكان أشندن على علم دقيق بهذه المسألة . فهو يعرف أن كلام

الجانب الألماني والجانب السويسري يحرس الحدود المشتركة في دقة

فائقة لا تعرف التساهل . ولذلك سأل جوستاف :

— أحقا ؟ ولماذا لا تجتاز الحدود الألمانية السويسرية بالوسائل

الرسمية المعتادة ؟ أنا الحقنالك بالعمل لأن تمثلك لشركة سويسرية

تورد سلما ضرورية للأسواق الألمانية يسر لك السفر إلى ألمانيا ذهابا

وابابا بصورة طبيعية رسمية لا تثير الشك . وقد أفهم أن تجتاز

خطوط الحراس الألمان بتواطؤ خاص . ولكن كيف يشمل هذا

التواطؤ الحراس السويسريين ؟

فارتسمت على وجه جوستاف نظرة استنكار هائلة ، وقال :

— لست أفهمك ؟ هل تريد أن تلمح إلى أنني قد أكون في خدمة

الألمان ؟ إنني أقسم لك بشرقي . . إن أسمح لأحد بتجريح استقامتي ؟

فقال أشندن بهدوء :

— إنك لن تكون الرجل الوحيد الذي يقبض أموالا من العسكريين

المتحاربين معا ، ولا يقدم معلومات ذات قيمة إلى هؤلاء ولا أولئك

— هل تريد أن تقول أن معلوماتي لا قيمة لها ؟ فلماذا إذن أعطيتموني

من تلقاء أنفسكم مكافآت لم يظفر بها عميل آخر من عملائكم ؟ إن

الكولوبل نفسه كثيرا ما اعرف عن منتهى الارتياح الى خدماتي
فقال له استندن فى سرر وليونة :

— اسمع يا صاحبى ! لا تحاول ان تتعاطم . ان كنت لا تريد ان
تطلعنى على جوار سفرك فلن ألح عليك فى طلبه . ولكن هل تظن اننا
نترك المعلومات التى بمدنا بها عملاؤنا من غير مضاهاة او تمحيص ؟
واننا لا نعقب بحركاتهم بوسائلنا الخاصة لا مهما كانت النكته جيدة
فلا يمكن ان يستمر بجاحها ادا كرره صاحبها مرات عديدة
وكان استندن على شئ من الحدق فى لعب اليوكر ففسر ان
(يلفه) :

— لدينا معلومات تفيد انك لم تذهب الى المانيا منذ التحقت بخدمة
المخابرات الانجليزية ولكنك كنت تجلس هنا وادعا مطمئنا فى بيتك .
وان جمع تقريرائك البدعه مستمدة من مخيلتك الخصبه
ونظر جوسناف الى استندن فلم يتبين فى ملامحه سوى التسامح
والطيبة والميل للدعابه . فانفرجب أسسارير جوستاف ، وهز
كتفيه وقال :

— وهل كنت تظننى من الحماقة بحيث أجازف بحباتى فى سبيل
خمسين جنيتها فى الشهر ؟ أنا أحب زوجتى !
فانفجر استندن ضاحكا وقال :

— تهنتنى الحارة لك على برامتك وخيالك . فما كل انسان
بمستطيع ان يزهو بتمكته من استغلال مخابراتنا السرية اكثر من
سنة !

— لقد سنحت لى فرصة كسب نقود من غير صعوبة . وكانت
الشركة قد توقفت عن ارسالى الى المانيا منذ بداية الحرب . اما
المعلومات فكنت اتسقط بعضها من المندوبين التجاريين الآخرين وهم
اصدقائى . وكنت افتح اذنى جيدا فى حانات البيرة والمطاعم واطالع
الصحف الالمانية التى تاتى الى هنا يوميا . وكنت اجد متعة عظيمة
فى تحرير تلك التقارير والرسائل

— بغير شك انها تسلية عظيمة !

— والآن ماذا ستصنع ؟

لاشئ . وماذا نستطيع ان نصنع ؟ ولا اظنك تخال اننا سنستمر

في دفع مرتبك الشهري ؟

- كلا بالطبع

- وبهذه المناسبة هل اكون فضوليا لو سألتك ان كنت قد لعبت

نفس اللعبة على الالمان ؟

فصاح جوستاف باستهجان وحماسة :

- كلا . كيف خطر ببالك هذا الفرض الفظيع ؟ ان عواطفى كلها

في جانب الحطفاء

- وما المانع ؟ اموال الالمان كثيرة جدا وليس هناك اى سبب يحول

بينك وبين اقتناص ما تريد منهم . وسنقدم لك بين حين وحين

معلومات مستجد الالمان مستعدين للحصول عليها

- كلا . الالمان قوم عصبوني فيهم عتف ، ومن الخطر ان يهزل

الانسان معهم

- هذا يدل على انك رجل ذكى جدا . واعلم اننا وان اوقفنا مرتبك

الشهري الا اننا على استعداد تام لدفع مكافآت شخصية على اى

اخبار حقيقية نافعة لنا . ولكن بعد التحقق منها بوسائلنا الخاصة

- سافكر في هذا الموضوع

واشعل اشندن سيجارة واستغرق في التفكير قليلا ثم قال :

- لك الفان من الفرنتكات السويسرية ان استطعت ان تخبرتنى بما

يفعله الالمان عن طريق جاسوس لهم يقيم في لوسرن ، وهو انجليزى

يلعى جرائتلى كايبور

فقال جوستاف بعد لحظة صمت :

- سمعت هذا الاسم . كم ستبقى هنا فى بال ؟

- سابقى الوقت الضرورى . ساسناجر حجرة فى الفندق واخبرك

برقمها . فاذا احتجت الى اخبارى بشيء فى هذا الشأن ستجدتنى

دائما فى حجرتى فى الساعة التاسعة صباح كل يوم وفى الساعة

السابعة مساء كل ليلة

فقال جوستاف بحذر .

- لا استطيع ان اجازف بالحضور الى الفندق . ولكنى استطيع

ان اكتب اليك بما اريد

- وهو كذلك

ونهض اشندن واقفا ليصرف وصحبه جوستاف الى باب
مسكنه . وقال لاشندن وهو يشد على يده مودعا :
— اننا نفترق صديقين اليس كذلك ؟
— طبعا طبعا . وستظل تقاريرك في محفوظاتنا نموذجا لما ينبغي
ان يكون عليه التقرير الجيد



وقضى اشندن يومين او ثلاثة في النزهة ومشاهدة معالم بال
ولكن لم ترق له هذه المناظر . فكان يقضي ساعات طويلة في المكتبات
يقطب صفحات كتب كان يحب ان يقرأها لو ان مدى العمر الف
سنة !

وذات مرة راى جوستاف في الشارع فتجاهل كل منهما صاحبه .
وفي اليوم الرابع وصله خطاب مع قهوة الصباح . وكان المظروف
يحمل اسم مؤسسة تجارية لا يعرفها ، وبداخله ورقة مكتوبة على
الالة الكاتبة بغير عنوان وبغير امضاء . وابتسم اشندن لان جوستاف
لا يعلم فيما يبدو انه يمكن مضاهاة خطوط الالة الكاتبة مثل مضاهاة
الخطوط اليدوية تماما

وبعد ان فرغ من تلاوة الخطاب مرتين بعناية احرقه بعود ثقاب
ثم وضع الرماد في حوض الفسيل . وحزم بعد ذلك حقائبه وركب
اول قطار قاصدا برن

ومن برن ارسل الى الكولونيل برقية بالشفرة عن طريق السفاره
الانجليزية . وبعد يومين جاءه رسول من السفارة في حجرة نومه
بالفندق ، وابلاغه تعليمات شفوية في ساعة متأخرة جدا من الليل
حتى لا تكون ممرات الفندق مزدجمة . وبناء على هذه التعليمات
سافر اشندن بعد اربع وعشرين ساعة بطريق ملتوية قاصدا مدينة
لوسرن السويسرية



الخاتمة

استأجر أشندن حجرة في فندق معين صدرت إليه التعليمات المشددة أن ينزل فيه بالذات بمجرد وصوله الى مدينة لوسرن . وبعد أن نفذ أشندن هذه الخطوة ، غادر الفندق ، وكان اليوم رائع الطقس ، من أوائل شهر أغسطس ، والسمس مشرقة والسماء صافية

ولم يكن قد زار لوسرن منذ كان صبيا حديث السن ، فلم يبق في ذاكرته منها الا صورة غامضة لقنطرة مستقوفة ولتمثال من الصخر يمثل اسدا ، ولكنيسة جلس فيها ساعة من الزمن وقد استولى عليه السأم المزوج بالرهبة وهو يستمع الى عزف مؤثر على الارغن . فانطلق يجوس خلال المدينة ليجدد مابتهت من تلك الذكريات القديمة ، وليستمع بالرياضة في ذلك الجو الدافئ

وكانت لوسرن في مدة الحرب خالية من الزوار والغرباء والاجانب كأنما استعادت عزلتها وهدوءها منذ كانت سويسرا دولة جبلية لا يرتادها السائحون من مشارق الارض ومغاربها للنزهة والاسنجمام

كانت الفنادق مغلقة والشوارع خالية ، والزوارق ذات المجاديف المروضة للإيجار بالساعة تتأرجح في تراجيح عند شط البحيرة وقد سدت الشاطئ تطلب من يستأجرها . والطرق الواسعة المشجرة التي تحف بالبحيرة لا تروى فيها سوى سويسريين يمشون جادين ، وكأنهم يحفظون بحيادهم حتى في نزهتهم على الأقدام !

وشعر أشندن بالاعياء من هذه الوحدة الموحشة فجلس فوق مقعد حجري مواجه للماء ، وراح ينطلق الى المنظر الذي أمامه ، فوجده على جماله لا يخلو من سحف . فالماء شديدالزرققة ، والجبال من وراء البحيرة مثقلة بثلوج ناصعة البياض ، فكانما جمال المنظر

بصدم العين ويلطم المحيا . ودكرته لوسرن في تلك الساعة بتلك
الازهار الصناعية المصنوعة من الشمع ، المعروضة تحت نواقيس
نظيفة لامعة من الزجاج في صالون اتيق خال من الجالسين !

ومهما يكن من شيء فقد كان عارما على الاستمتاع بالطبيعة ما
ظل الجو بديعا مشمسا . فهو لم يكن يرى اى تعارض على الاطلاق
بين امناع نفسه والقيام بخدمة بلاده . وكان في جيبه جواز سفر
جديد تحت اسم مستعار ، فأحس احساسا طريفا بأن له شخصية
جديدة . وساعد ذلك على تسليته . فهو ليس الا انستدن وانما
هو مخلوق خلقه الكولونيل ، احتراف مسنحدث تمخضت عنه
مخيلة جندى . . .

ونفض اشندن وتهادى متحيا نحو الفندق . وكان هذا الفندق
من الفنادق الالمانية الصغيرة ، ويعبر من فنادق الدرجة الثانية ،
ولكنه نظيف كل النظافة ، وحجرة النوم التى استاجرها تطل على
منظر بديع ، واثاتها من خشب الشربين المظلى بقشرة لامعة . ولو
كان الجو رطبا باردا ، لكانت الحجرة كثيبة اما في هذا الجو الدافئ
الشمس فهى مريحة للنفس باعتة على المرح . . .

وفى بهو ذلك الفندق موائد صغيرة متنثرة جلس الى احدها
وطلب زجاجة بيرة . وكانت مديرة الفندق ، وهى زوجة صاحبه ،
متشوقة لمعرفة السبب الذى حدا بهذا الانجليزى للحضور فى
هذا الموسم الميت الى لوسرن لقضاء بضعة ايام . وكان اشندن
مستعدا بل ميالا لاشباع فضولها . فأخبرها انه ابل اخيرا من
اصابة شديدة بحمى السيفويد ، ونصحه الطبيب بقضاء فترة النقاهه
فى هذا الفصل البديع من السنة بمدينة لوسرن ، كى ينعم بجمال
الطقس والهدوء البعيد عن ضجة الزحام ومتاعب الحرب . وأخبرها
ايضا انه كان موظفا فى ادارة الرقابة على الانباء بلندن ، ولذا انتهز
الفرصة لعل اقامته فى لوسرن فى فندق المالى تساعد على محو
الصدأ عن لفته الالمانية

وطلب منها عرضا ان ترشح له معلما المانيا . وكانت ربة الفندق
سيدة سويسرية شقراء ضخمة ، ذات وجه بشوش ، وفيها ميل
التريرة . فأيقن اشندن انها ستدع ما أفضى اليها به من معلومات

ورأى انه صار من حقه الطبيعي ، بعد ان اتبع فضولها بالإجابة من أسئلتها الكثيرة المتلاحقة ، ان يوجه اليها بضعة أسئلة . ووجد لديها ميلا للانفاضة في موضوع الحرب التي جعلت فندقها خاليا تقريبا ، مع انه في مثل هذا الشهر من السنوات السابقة للحرب ، كان الفندق يكتظ بالنزلاء بحيث يقتضى الامر البحث عن غرف لهم في البيوت المجاورة . . . وذكرت له ان الكثيرين يأتون لتناول وجبات الطعام في مطعم الفندق ، ولكن لا يقيم لديها بصفة دائمة الا مجموعتان من الناس ، احدهما مكونة من زوجين إيرلنديين يقيمان طول السنة في فيفاي ولكنهما يقضيان دائما شهور الصيف في لوسرن . والمجموعة الاخرى عبارة عن رجل انجليزي وزوجته . وهذه الزوجة المانية ولدا اضطر الزوجان في مدة الحرب للإقامة في بلد محايد . .

وكان اشندن حريصا على الا يظهر اقل فضول بخصوص هذا الانجليزي وزوجته المانية ، لانه عرف من الوصف ان هذا الرجل هو جراتلي كايبور ضالته المشوذة . . . ولكن ربة الفندق أخبرته من تلقاء نفسها ان الزوجين يقضيان معظم النهار في التجول بين الجبال ، لان الهر كايبور عالم في النبات ، وله اهتمام عظيم بالازهار البرية في هذا الاقليم . وزوجته امرأة لطيفة للغاية شديدة الحساسية نحو مركزها الدقيق ، وما تسببه جنسيتها المانية من التساعب لزوجها . ولكن بطبيعة الحال لا يمكن ان تدوم الحرب الى الابد يا سيدي . . .

وانصرفت ربة الفندق لبعض شأنها وصعد اشندن الى حجرتة . وكان موعد العشاء في الساعة السابعة ، بيد ان اشندن كان حريصا على النزول الى قاعة الطعام قبل جميع الناس ، كي يستطيع استعراض وجوه جميع من يتناولون الطعام في لحظة دخولهم الى القاعة . ولذا نزل بمجرد سماع الجرس الذي يدعو الناس الى الطعام

وكانت القاعة خالية من كل زخرف ، عاطلة من تباهج الترف ، جدرانها بيضاء ناصعة ، وفوق كل مائدة من الموائد الصغيرة باقة من الزهر . فكان كل شيء على الجملة نظيفا جدا واثيقا جدا ، ولكنه يرحى بسوء طعم الاكل الذي سيقدم في هذا الجو . وفكر

اشندن في أن يعرض نفسه عن ذلك بطلب زجاجة من أحسن أنواع
نبيذ الراين ، ولكنه لم يتأ أن يجازف بلقت النظر الى شخصه
بهذا الاسراف بعد أن رأى فوق ثلاث موائد انصاف زجاجات من
البييد الرخيص ، وأدرك أن زملاءه يشربون بتقتير شديداً على
انفسهم ، ولذا اكفى بطلب كأس كبيرة من البيرة

ودخل القاعة بضعة اشخاص كان واضحاً أنهم سويسريون جلس
كل واحد منهم الى مائدته الصغيرة وفتحوا الصحف أمامهم وجعلوا
يقرءون أثناء تناول الحساء ، وبعد ذلك دخل رجل طويل القامة
متقدم جداً في السن ، له شعر أبيض كالثلج ، وشارب أبيض متهدل ،
ومعه سيده عجوز قصيرة بيضاء الشعر ترتدى السواد . فأدرك
اشندن انهما الكولونيل الأيرلندي وزوجته اللذان حفلته عنهما
ربة الفندق

وجلس الزوجان ، وصب الكولونيل لامراته كوباً من النبيذ ، ثم
صب لنفسه كوباً آخر ثم انتظرا في سكون الى ان قدمت اليهما
الخادمة الريفية ، المثلثة القد والوجه ، وجبة الطعام

وأخيراً وصل الشخصان اللذان كان اشندن في انتظار قدومهما .
وكان اشندن يتظاهر جهداً استنطاقته بقراءة كتاب الماني . وبمجهود
شديد في ضبط نفسه ، سمح لنفسه أن يرفع عينيه مدة لحظة
واحدة عند دخولهما ، ثم عاد الى الكتاب الألماني المفتوح أمامه

وأظهره لمعنه هذه على رجل في نحو الخامسة والأربعين ، له
شعر قصير أسود لا يخلو من التجاعيد تتخلله شعرات بيضاء ،
متوسط الطول ، ولكنه يميل للبساطة ، وله وجه عريض أحمر
حليق . يرتدى بذلة رمادية ونميصاً ذا ياقة واسعة مفتوحة .
وكان يتقدم زوجته في السير . ولم ير منها اشندن إلا ما أشعره
انها امرأة المانية غير سحبة للظهور ، يعلو ثيابها غبار كثير

وجلس جرائتلى كايبور الى مائدته وشرع يشرح للخدمة بصوت
مرتفع كيف انهما مشيا مسافات طويلة ، وانهما صعدا جبلاً ما لم
تكن لاسمه أهمية لدى اشندن ولكن هذا الاسم انار لدى الخادمة
الدهشة والحماسة

وبعد ذلك قال كايبور بلهجة المانية طلاقة تشوبها لكتة انجليزية

واضحة ، انهما تأخرا كثيرا ، ولذا لم يتسع الوقت امامهما كي
يسنحما ويبدلا نياهما واكتفيا بفصل أيديهما ، وكان صوته في
الكلام رنانا ولهجته مرحة :

— هيا احضري طعامنا بسرعة ، فنحن في شدة الجوع . واحضري
بيرة . هاتي ثلاث زجاجات كبيرة . رباه ما اشد ظمئى !

ويبدو عليه انه رجل يتمنع بحيوية مفرطة ، فاضفى دخوله على
تلك القاعة الراكدة الكثيبة المفرطة النظافة جوا بعث فيها الحياة .
وشرع يتحدث الى زوجته بالانجليزية بصوت يستطيع ان يسمعه
جميع الموجودين . ولكنها سرعان ما قاطمته بملاحظة افضت بها
اليه في صوت خافت

وكف كايبور عن الكلام وشعر اشسندن ان عينيه تنجهان الى
ناحيته . ان المسز كايبور فطنت الى وجود شخص غريب فوجهت
نظر زوجها الى ذلك . وقلب اشسندن صفحة الكتاب الذى كان
يتظاهر بقراءته ، ولكنه احس ان نظرة كايبور منبئة عليه بالحاح
شديد

ولما كلم كايبور زوجته بعد ذلك كان صوته منخفضا جدا حتى
ان اشسندن لم يسنطع ان يسمع باية لغة من اللغتين كان يخاطبها .
وعندما جاءتها الخادمة بالحساء سألها كايبور سؤالا بصوت
منخفض ايضا . وكان واضحا انه يسألها عن اشسندن وما عساه
يكون . ولم تلتقط اذن اشسندن المرهفة من اجابة الخادمة سوى
كلمة « انجليزى »

وفرغ شخص او شخصان من عشاءهما وانصرفا . ثم نهض
الكولونيل الايرلندى المعجوز وزوجته المعجوز عن مائدتهما . وتنحى
الكولونيل كي يفسح لزوجته الطريق . ان هذين الزوجين اكلا باناء
من غير ان ينبادلا كلمة واحدة . ومشت الزوجة على مهل الى
الباب . اما الكولونيل فوقف يلقي كلمة الى سويسرى من الموجودين
لعله محام او موثق عقود . فلما وصلت الزوجة الى الباب وقفت
كأنها نعجة مسالة في انتظار زوجها كي يفتح لها الباب . وادرك
اشسندن من هذا المسلك انها لم تفتح في حياتها الباب لنفسها . وبعد

دقيقة جاء الكولونيل المسجور الى الباب ففتح ومرفق منه وهو في
اترها

واعراض هذا المنظر فاسترسال في تصور حياتهما معا : وبدأ في
بناء الحوادث والتجسسات . ولكنه لم يلبث ان رد نفسه بحرم
عن الاسرسل في ترف الخلق - واستأنف تناول الطعام

ولما خرج من البهو ، رأى اسنندر كلبا من نوع البول تيرير
مربوطا الى قائمة احدى المناضد . فلما مر به مد يده بصورة آلية
كى بداعب اذنى الكلب المتدليين الناعمين . وكانت ربة الفندق
واقفة اسفل السلم ، فسألها اسنندر :

— ان هذا الحيوان الجميل ؟

فقال ربة الفندق في حماسة :

— انه يخص الهر كايبور . واسمه فريترزى . والهر كايبور
يقول ان نسب فريترزى أعرق بكثير من سلسلة نسب ملك انجلترا !
وجعل فريترزى يسمح بساق اسنندر ويتحسس بطرف انفه
الترطب راحة يده سرورا بعلاطفه

وصعد اسنندر الى حجرته كى يأتى بقمعته ، ولما نزل رأى كايبور
واقفا عند مدخل الفندق يتحدث الى ربه . ومن الصمت المفاجيء
الذى ساد أدرك ان كايبور كان يسأل السيدة عنه

ولما مر بينهما الى الشارع رأى بطرف عينه ان كايبور ينتظر اليه
نظرة ارتياح ، واذ بذلك الوجه الضاحك وقد صار آية على الدهاء
وتركه اسنندر واستأنف مسيره الى ان وجد حانة ذات شرفة
يستطيع ان يتناول فيها قهوته في الهواء الطلق ، وبعد القهوة قرر
ان يعوض نفسه عن زجاجة البيرة التى تجرعها على مضض بدافع
من الواجب على مائدة الغداء ، فطلب افخر كورنيك يمكن ان تقدمه
لك الحانة

والحقيقة انه كان سرورا لانه اخيرا بدأ يواجه الرجل الذى طالما
سمع عنه الكثير . وكان في رجوه ان تعقد بينهما صلة التعارف
في مدى يرا او يومين . وهو يعلم انه ليس من المسير اطلاقا ان
يعرف أى انسان بشخص يقضى كلبا عزيزا عليه . بيد انه لم يكن
في عجلة من امره . ولذا سترك الامور تجرى في اعتيادها . فالهدف

الذى يسعى الى تحقيقه لا يمكن أن يسمح له بالتعجل في العمل واستمرص أشنندن الظروف التي تحيط بالمسألة . فوجد أن جراتلى كايبور انجليزى الجنسية ولد في برمنجهام وهو الان في الثانية والأربعين من عمره . وورجته التي اقترن بها منذ أحد عشر عاما المانية المولد المانية الابوين . وهذه هي المعلومات العامة عنهما اما المعلومات الخاصة عن ماضي حياة الرجل فهي مكتسوبة في وثيقة سرية تذكر انه بدأ الحياة في مكتب محام في برمنجهام ، ثم دخل ميدان الصحافة . واقترن اسمه بعدئذ بصحيفة انجليزية تصدر في القاهرة ، ثم بصحيفة أخرى تصدر في شنغهاي . وفي شنغهاي اتهم بمحاولة اختلاس اموال بطريقة الاحتيال وادين ، وحكم عليه بالسجن فترة غير طويلة

وبعد اطلاق سراحه اختفى كل اثر له مدة عامين ، الى ان ظهر مرة اخرى في مكتب لادارة البواخر في مرسيليا . ومن مرسيليا انتقل للعمل في ادارة اخرى للبواخر بهامبورج . وهناك تزوج ثم انتقل للعمل في لندن ، فانشأ مكتبا للتصدير والاستيراد ، ولكنه فشل بعد زمن قصير واطن افلاسه ، فعاد الى الصحافة . ولما اعطت الحرب ترك الصحافة للعمل مرة اخرى في ادارة البواخر . وفي أغسطس سنة ١٩١٤ كان يعيش مع زوجته حياة هادئة جدا في ميناء سوتهامبتن

وفي بداية سنة ١٩١٥ ابلغ رؤسائه ان جنسية زوجته الالمانية تجعل موقفه حرجا لا يطاق . وكان رؤسائه واضحين عن عمله ومدركين لما يعانيه بسبب زوجته الالمانية ، فنقلوه الى فرع الشركة في جنوة . وظل هناك الى ان دخلت ايطاليا الحسرب في جانب الحلفاء ، فاستقال واجتاز الحدود ليقوم في سويسرا بأوراق رسمية سليمة لا عيار عليها

كل ذلك يدل على ان الرجل مطعمون في امانته ، غير ميسال للاستقرار ، وليس له مورد مالي ثابت . ولكن ذلك لم يكن يعنى احدا الى ان اتضح ان كايبور كان بالتأكيد منذ بداية الحرب ، وربما قبل ذلك بستوات ، جاسوسا في خدمة ادارة المخابرات الالمانية . وكان المرتب الثابت الذي يتقاضاه من تلك الادارة هو أربعون جنيها

في الشهر

ومع ان هذا في حد ذاته امر خطير ومثير الا انه لم تتخذ اية خطوات ايجابية ضده الى ان دخل في المسألة عنصر جديد . فلو انه اكتفى بان ينقل الى الالمان الانساء التي يمكنه الحصول عليها محليا في سويسرا ، لما تحركت المخابرات الانجليزية للقضاء عليه ، فليس في ذلك ضرر يستحق المسالة . بل لعله كان من الممكن استخدامه لتبليغ بعض المعلومات المراد ايها الالمان بها

ولم يكن كايبور يدري ان امره كسف . وكانت خطباته وهي كثيرة جدا تخضع لرقابة دقيقة . والاختصاصيون في المخابرات الانجليزية لا يستعصى عليهم حل اية شفرة . ومع مضي الوقت كان من المستطاع معرفة قلول الجواسيس الذين يتعاملون معه في انجلترا . وفي ذلك فائدة كبيرة . ولكن كايبور جلب على نفسه غضب الكولونيل . ولو انه عرف معنى ذلك ، لارتجف قلبه ، لان الكولونيل رجل لا يتورع عن شيء اذا تارت نائره على احد

وجليه الامر ان كايبور تعرف في زيورخ بشاب اسمه جوميز ، دخل منذ مدة قصيرة في خدمة المخابرات الانجليزية . واستطاع كايبور بجنسيته الانجليزية ان يخدع الفتى الاسباني ، ويكسب ثقته ، ويبتز منه المعلومات ، الى ان عرف انه يعمل في الجاسوسية لحساب انجلترا . وترتب على ذلك ان كايبور وشى به الى الالمان ، فراقبوه عن كثب وعندما سافر الى المانيا وضبط متلبسا بتصدير خطاب مكتوب بالشفرة ، وحل الالمان رموز تلك الشفرة ، حاكموه وادانوه ورموه بالرصاص !

وكان من المزعج ان تفقد انجلترا جاسوسا نافعا مخلصا في عمله وكان اسوأ من هذا ان تضطر لتغيير شفرة جواسيسها في تلك المنطقة . وثار نائرة الكولونيل ، ولكنه كظم غيظه ورغبته في الانتقام ، لان مصلحة المخابرات عنده فوق كل اعتبار . فلو ان كايبور كان يخون وطنه حبا في المال فقط ، لكان من الممكن اقتاعه بأخذ اموال انجليزية اكثر من الاموال الالمانية كي يخون مخلصا . وسيكون ذلك سهلا عليه بعد ان سلم اليهم الجاسوس الانجليزي الاسباني الجنسية جوميز ، فاثبت لهم اخلاصه لقضية المانيا . . .

وفكر الكولونيل في هذا الاحتمال ثم كلف استدن بالاتصال به ليحكم هل يمكن الاعتماد على كايبور في خدمة المخابرات الانجليزية ام لا . فان وجدته صالحا لهذا فعليه ان يجسر نصه ويقترح عليه ما يراه مناسباً

وهي مهمة تحتاج الى لباقة شديدة ومعرفة دقيقة بنفوس البشر . اما اذا اتضح لاستدن ان كايبور لا يمكن شراء اخلاصه ، فعليه ان يرصد حركاته ويخطر بها الرؤساء . وكانت المعلومات التي حصل عليها استدن غامضة ولكنها هامة جدا . والطريف فيها ان رئيس المخابرات الالمانية في برن مستاء في المدة الاخيرة من كسل كايبور وعدم انتاجه . وكان كايبور يطالب بعلاوة ، ولكن الرئيس الالمانى في برن رفض طلبه ، وصارحه بأنه يجب ان يبدي مزيداً من النشاط ، ثم اقترح عليه ان يعود الى انجلترا وفي ذلك المعرض قال الكولونيل لاستدن بعد ان اطلعه على هذه المعلومات :

— ان استطعت ان تستدرجه الى اجتياز الحدود تكون قد نجحت غاية النجاح

سأله استدن متعجباً :

— وكيف بحق الشيطان تتوقع منى ان اقنعه بوضع عنقه في جبل المشنقة ؟

فضحك الكولونيل ضحكة بعثت القشعريرة في جسم استندن وقال :

— انها لن تكون مشنقة ... بل كتيبة من الرماة !

— ولكن كايبور رجل ماكر

فصاح الكولونيل في ضيق :

— فلكن انت امكر منه . تبا لك !

وفرر استندن الا ينخد اية خطوات نحو التعرف بكايبور . وكل ما عليه هو تمهيد السبيل امام كايبور كي يتخطو الخطوات الاولى نحو التعرف به . واذا استبطل الكولونيل النتائج فلن يجيد عن هذه الخطة

لقد افهم ربة الفندق انه موظف في ادارة الرقابة الانجليزية ، وقد

نقلت حتما هذه المعلومات الى كايبور . فلا شك انه ان لم يكن عاجلا
فاحلا سيسعى الى مجادبة اطراف الحديث مع انجليري يعمل في
ذلك القطاع الحساس من الادارة الحربية
وفي الوقت نفسه كان الكولونيل قد زود اشوسن بكمية من
المعلومات التي لن يفيد الالمان في شيء . ولما كان اشوسن يحمل هذه
المرّة اسما مستعارا وجواز سفر مزيفا ، فليس من المحتمل ان
نعلن كايبور الى انه بازاء جاسوس انجليزي



الفصل الثالث عشر

دروس

ولم يطل انتظار اشندن . ففي اليوم التالي كان جالسا بمدخل الفندق يحتسى قدحا من القهوة ، وقد ثقل جسمه ، وكاد يغلبه النعاس على صحوه بعد وجبة غداء دسمة ، عندما برز آل كايبور من قاعة المائدة

وصعدت مسر كايبور الى حجرتها ، اما كايبور ففك عقاب كلبه الذى اخذ في الوثب والقفر وبصورة ودنة وثب على اشندن . فصاح كايبور :

— تعال هنا يا فريزى ...

ثم التفت الى اشندن وقال :

— انى آسف جدا ، ولكنه لطيف للغاية

فقال اشندن :

— اوه . لا بأس . انه لن يؤذبنى

ووقف كايبور عند الباب ، وقال :

— انه من نوع البول تيرير . وهو نوع نادر الوجود فى القارة الاوروبية

ويبدو انه كان وهو يتكلم يتفحص اشندن . ثم صاح بالخادمة :

— فسجان قهوة من فضلك يا آنسة

والتفت الى اشندن وقال له :

— لقد وصلت اخيرا . اليس كذلك ؟

— بلى . وصلت بالامس

فتصنع كايبور الدهشة وقال :

— احقا ؟ انى لم ارك بالامس فى قاعة الطعام . هل تنوى الاقامة

طويلا ؟

- لا أدري فقد كنت مريضا وجئت الى هنا كي اسرد قواي
وجاءت الخادمة بالقهوة . فلما رأت كايبور تحدثت الى اشندن
وضعت صينية القهوة فوق المائدة الجالس اليها اشندن . فضحك
كايبور ضحكة نبيء عن حرج يسير
- انا لا اريد ان اقحم نفسي عليك . لكنى لا اعلم لماذا وضعت
الخادمة قهوتي فوق مائدتك

فقال اشندن :

- ارجوك ان تجلس

- هذا كرم كبير منك . فقد عسنت في القارة مدة طويلة حتى لقد
اصبحت انسى ان مواطنى يعتبرونها صفاقة من المرء ان يكلمهم بغير
معرفة سابقة ، وبهذه المناسبة هل انت انجليزى ام امريكى ؟
فقال اشندن :

- بل انجليزى

وكان اشندن بطبيعته رجلا خجولا جدا . وقد اجتهد عينا ان
يشمى نفسه من ذلك التقص الذى لا يتفق مع سنه . لكنه فى
بعض الاحيان يستغل هذه الصفة استفلاا حسنا . فاخذ ينسرح
فى تردد وتلعثم الحقائق التى اخبر بها ربة الفندق فى اليوم السابق
وكان موثقا انها نقلتها الى كايبور بحذافيرها . ولما انتهى منها قال
كايبور :

- انك ما كنت لتأتى الى مكان افضل من لوسرن . فهى واحة
من واحات السلام فى هذا العالم الذى انهكته الحرب . فانك وانت
هنا فى وسعك ان تنسى تقريبا كل النسيان ان هناك حربا عالمية
ناشبة . وهذا هو السبب فى انى جئت للاقامة هنا . وانا رجل
مهنة الصحافة

فقال اشندن وهو يبتسم ابتسامة خجلى :

- لقد خطر ببالى وانا اسمعك تتكلم انك تمارس الكتابة

والحقيقة انه كان واضحا ان تعبيراً مثل « واحة من واحات
السلام فى عالم انهكته الحرب » لا يمكن ان يكون ممنا اكتسبه فى
مكاتب البواخر ...

واسطرده كايبور وعلى وجهه امارات الجدل :

— والمسألة أنني متزوج من سيده المانية

فقال اشندن بسفاجة :

— حقا ؟

— ولا اعتقد أنه يمكن أن يكون هناك من هو اشد وطنية منى .
فأنا انجليزى دما ولحما . ولست ابالى أن أقول لك ان الامبراطورية
البريطانية فى اعتقادى هى اعظم أداة للخير عرفها العالم فى تاريخه
كله . ولكن زواجى من سيده المانية جعلنى ارى بصورة طبيعية
ان هناك وجهة نظر اخرى . ولست بحاجة الى أن تخبرنى ان للامان
عيوبهم . ولكنى بصراحة لست مستعدا للقول بانهم الشيطان
مجسدا . . . وفى بداية الحرب قاست زوجتى الامرين ونحن فى
انجلترا . وأنا شخصا لا استطيع من جانبى أن الومها لو أنها
شمعت بالمرارة لذلك السبب . فكل انسان هناك كان يظنها
جاسوسة . ولا شك أن ذلك سيجعلك تضحك كثيرا عندما تعرف
شخصيتها ، فهى نموذج ربة البيت الالمانية التى لا يعنىها من العالم
كله شىء سوى بيتها وزوجها وطفلنا الوحيد فريتزى .!

وريت كايبور على كلبه واطلق ضحكة صغيرة :

— نعم يا فريتزى . أنت طفلنا . اليس كذلك ؟

ثم استأنف حديثه الى اشندن :

— وطبعى ان هذا الموقف جعل مركزى حرجا جدا فى انجلترا .
وكنت متصلا بعدد من أهم الصحف . فلم يكن محرروها مستريحين
للوضع . ولا اطيل عليك أنني رأيت من الاكرم لى ان استقبل وائى
للاقامة فى بلد محايد الى أن تنتهى العاصفة . وأنا وزوجتى لا
نتناقش فى موضوعات الحرب اطلاقا . مع أنها أكثر تسامحا منى
واكثر استعدادا للنظر الى هذه الكارثة المألوية من وجهة نظرى

— هذا غريب حقا . فالقاعدة أن النساء اشد تعصبا من الرجال

— ان امرأتى شخصية فذة جدا . وأحب أن اقدمها اليك .

وبهذه المناسبة لا ادرى ان كنت تعرف اسمى : جراتلى كايبور

فقال اشندن :

— واسمى سومرفيل

ثم حدثه عن العمل الذى كان مضطلعا به فى ادارة الرفاية . وخيل

اليه ان ذكر وظيفته كان له صدى في بريق عيني كايبور . ثم اخبره انه ينتد شخصا يعطيه دروسا في المحادثات الالمانية كي ينتهر الفرصة وينفض الصدا عن معلوماته في تلك اللغة

واتناء الكلام خطرت له فكرة ، فنظر الى كايبور وراى ان الفكرة نفسها خطرت له . اى انها خطرت لكليهما في وقت واحد . ومفاد هذه الفكرة ان مسز كايبور تصلح استاذا ممتازا لاشندن

ـ لقد سالت ربة الفندق ان كانت تستطيع ان تشد لي شخصا ، فقالت انها تظن ذلك مستطاعا . فيجب ان اعيد عليها السؤال . لانه ليس من الصعب ان تجد رجلا مستعدا للحضور كي يحدثني بالالمانية ساعة كل يوم

فقال كايبور :

ـ انا شخصا لا آخذ بتركية ربة الفندق في هذا . فانت بحاجة الى شخص يتكلم الالمانية الجيدة بلهجة اهل الشمال السليمة . في حين ان ربة الفندق لا تتكلم الا باللهجة السويسرية . ساسأل زوجتى ان كانت تعرف لك احدا . وزوجتى امرأة مثعلمة تعليما عاليا جدا وتستطيع ان تثق بتزكيتهما

ـ هذا كرم عظيم منك

وجعل اشندن يرمى جرائنلى كايبور على مهل ، فلاحظ ان عينيه الصغيرتين الخضراوين فيهما مكر شديد لا يتفق مع الصراحة والمرح البادين في ملامح وجهه . فهما عينان سريعتان ثاقبتان . ولكن اذا ومض في ذهنه خاطر مفاجيء تثبت نظرتهما فجأة . فهما عينان لا توحيان بالثقة . اما وجهه الطيب الباسم العريض ، وجسمه البدين ، وصوته المرح العميق ، فتعوض له ذلك النقص

وكان واضحا انه الان يبذل غاية جهده كي يبدو لطيفا انيسا . والحقيقة ان اشندن وجد صعوبة شديدة وهو يستمع اليه في تذكر انه بازاء جاسوس عادى ، رضى ان يبيع وطنه بأربعين جنيهها في الشهر

وكان اشندن يعرف جوميز الشاب الاسباني الذي خانه كايبور . وجوميز فتى عالى الهممة محب للمغامرة ، ولم يقبل القيسام بخدمة المخابرات الانجليزية رغبة منه في المال بل شوقا الى جو المغامرة

والإتارة الرومانسية التي تقترن بالنسور بالإسهام في قهر الألمان .
ولم يكن هينا على أشندن أن ينصوره دينا في خندق الماني على عمق
ست أقدام تحت فناء السجن . لأنه كان رشيقا مرحا حافلا بعصارة
الحياة . وتساءل أشندن بينه وبين نفسه ألم يسهر كايبور بغصة
تعرض حلقه وهو يسلمه الى منيته

وسأل كايبور أشندن وقد أثار الغريب اهتمامه :

... اظنك تعرف شيئا من اللغة الألمانية ؟

... طبعاً . فقد كنت طالبا بالمانيا فترة من الوقت ، وكنت أتكلم
الألمانية بطلاقة ، ولكن ذلك كان منذ زمن بعيد ، فنسيت الكلام
بها . ولكنني أستطيع أن أقرأ بها في سر

... آه . لقد لاحظت انك كنت تقرأ كتابا المانيا مساء أمس

بأله من أحق ! كان ينبغي ان يكون ذلك الكذوب ذكورا . فمنذ
هنية قال لأشندن أنه لم يره بالأمس . ولكن أشندن كان من
الحصافة بحيث لم يظهر على وجهه ما يدل على فطنته الى ذلك
الشاقص . وكان عليه أيضا ان يتعظ بغلظة كايبور فيكون على حذر
من الوقوع في متلها . ومن يدري ! لعل كايبور تعتمد تلك الغلظة كي
يقرا أثرها على سحنة أشندن

ونفض كايبور قائلا :

... ها هي ذى زوجتى . فنحن نذهب كل عصر لتسلق أحد
الجبال . واستطيع أن أدلك على نزوات يديعة سرا على الأقدام .
والأزهار حتى في هذا الوقت من السنة رائعة الجمال
فنهد أشندن وقال :

... أختى انسى لا بد ان أتريث الى ان أسرد مزيدا من عافيتى .
ومما ساعد أشندن على هذا الكذب ان وجهه كان شاحبا بطبيعته
ولا ندو عليه فوته الحقيقية

وهبطت مسر كايبور السلم وانضم اليها زوجها فسارا في
النسارخ وفريزى يجرى ويقفز بين أيديهما نارة ومن خلفهما تارة
أخرى . ولاحظ أشندن ان كايبور بدأ على الفور في الحديث الى
زوجته بطلاقة . فلا شك في أنه كان يخبرها بنتائج محادثته مع
أشندن

ونظر استسندن الى الشمس المسرقة في بهاء على الحجر ،
النسيم الرقيق بداعب في هواده اوراق الانسجار الخضراء ،
لكان كل شيء يدعو الى ربابه المنى . ولكنه نهض وصعد الى
حجرته ، وارمى على فراشه ، واستغرق في نوم لذيذ

ونزل الى قاعة المائدة في المساء لتناول العشاء ، فوجد آل كايبور
بختمان وجينهما ، وفي طريقهما للانصراف من القاعة وقف كايبور
امامه ودعا لتناول القهوة معهما في البهو . فلما لحق بهما هناك
وقف كايبور وقدمه الى زوجته ، وانحنت في تصلب ولم ترد على
ترحيب اشندن المهدب ولو بابسامة . فلم يكن من العسير ان يدرك
ان مسلكها عدائي تماما . وقد شعر اشندن بالراحة لذلك

وكانت مسز كايبور امرأة عاطلة من الحمال تقارب الاربعين من
عمرها ، بشرتها جافة خستنة وملامحها غير محددة ، وشعرها مصفوف
في حلقة حول رأسها على طراز ملكة بروسيا في عصر نابليون . وهي
ذات قامة ربة اقرب الى الامتلاء منها الى البدانة ، منبئة البنية .
ولكن لا يبدو عليها الغباء بل بالعكس تبدو امرأة ذات طبع قوى

وكان اشندن قد قضى من حياته شطرا كافيا في المانيا فعرف
نسوة من ذلك النمط . ولم يكن ليدهشه ان تجمع بين القسوة
والكفاءة في اعمال البيت ، والبراعة في الطهو ، والمهارة في نسلي
الجبال ، والاحاطة بالمعارف العامة والثقافة الرفيعة

وكانت ترتدى توبا ابيض زاد في وضوح سمرة عنفها ، وفسد
انتعلت حذاء تقبلا . وكلمها كايبور بالانجليزية فأخبرها بلهجة مرحة
بما احاطه به اشندن من معلومات عن نفسه ، كأنها لم تعرف ذلك
منه من قبل . ولكنها كانت تصغي متجهمة

والتفت كايبور الي اشندن فقال له بوجه باسم وعينين نعاذتين
لا تستقران من شدة التيقظ :

— اظنك اخبرتنى أنك تفهم الالمانية

فقال اشندن :

— نعم . فقد كنت طالبا مدة من الزمن في جامعة هايدلبرج
فقال مسز كايبور بالانجليزية وقد ظهرت على سحنتها الاسارة
يسيرة من الاهتمام :

— حقا ؟ انى اعرف هايدلبرج معرفة جيدة . لانى قضيت سنة كاملة تلميذة فى احدى مدارسها

وكانت انجليزيتها صحيحة ، ولكن مخارج الحروف حطية غير مستحبة . وانبرى اشندن بطرى المدينة الجامعية العتيقة ، وجمال المناظر فى المنطقة المحيطة بها . فكانت تستمع لما يقول من علباء شعورها التوتونى بالتفوق ، فى تسامح وافضاء لا فى حماسة . نم قالت :

— من المعروف تماما ان وادى تكار من اجمل المواضع فى العالم اجمع

وعندئذ قال كايبور :

— لم اخبرك يا عزيزتى ان مستر سومرفيل يبحث عن شخص يلقنه دروسا فى الحادثات الالمانية مدة اقامته هنا . فقلت له انك ربما استطعت ان ترشحي له معلما فقالت الالمانية :

— كلا . انا لا اعرف احدا يمكن ان اركيه عن ثقسة . فاللهج السويسرية كريمة كراهة لا توصف . ولن يستفيد بل يضار مستر سومرفيل اذا تحدث مع سويسرى بالالمانية فقال كايبور :

— لو كنت فى مكانك يا مستر سومرفيل لحاولت ان اغرى زوجتى بتلقينى هذه الدروس . فهى ان حساس لى ان اقول امرات متقفة جدا ومتعلمة تعليما عاليا فصاحت زوجته :

— اخ ! ليس لدى وقت لهذا يا جرائتلى . فعندى عملى الخاص وادرك اشندن ان الفرصة اتبحت له . فالفتح امامه ، وكل ما عليه ان يتردى فيه . فالتفت الى مسز كايبور وقال بلهجة اجتهد ان ينسوبها الخجل والتوسل والتواضع :

— انه لشيء عظيم حقا لو انك تكرمت بتلقينى هذه الدروس سأعتبرها خدمة جليلة وخطوة عظيمة . وانا بطبيعة الحال لا اريد ان اتدخل فى عملك ، فالفرض الرئيسى من وجودى هنا هو استردا عاقبتى . وليس عندى اى عمل يشغلنى . وسوف يوافقنى اى

موعد تحددينه لهذه الدروس على حسب أوقاتك
وأحس بشرارة رضا وسرور تنتقل من الزوج الى الزوجة . ولح
وميضاً خفيفاً في عيني مسز كايبور الزرقاوين . وقال كايبور :
... انها طبعا ستكون مسألة عملية على اساس واضح . فليس
هناك ما يدعو اطلاقاً الا تجنى زوجتي الطيبة شيئاً من المال . فهل
تعتقد ان عشرة فرنكات سويسرية في الساعة اجرا عالياً ؟
فقال اشندن على الفور :
... اطلاقاً . بل اني اعتبر نفسي محظوظاً اذا ظفرت باستاذة من
الدرجة الاولى لقاء هذا المبلغ
فقال كايبور لزوجته بحماسة :
... وما قولك الان يا عزيزتي ؟ انك بالتأكيد تستطيعين ان توفري
من وقتك ساعة كل يوم كي تسدي الى هذا السيد مكرمة . فيعلم
ان ليس جميع الالمان شياطين كما يظنونهم في انجلترا
وقطبت مسز كايبور حاجبها تقطيباً شديداً جعل اشندن يدرك
الجو الذي ينتظره في ساعة الدرس اليومية التي سيقضيها في
تبادل الاحاديث معها . والله وحده يعلم كيف سيجهد دماغه بحثاً
عن موضوعات للكلام مع هذه المرأة الثقيلة الراجمة !
ورآها تبذل مجهوداً شديداً كي تقول :
... سيسرني غاية السرور ان اعطى مستر سومرفيل دروساً
يومية في المحادثة باللغة الالمانية
فقال كايبور مهلاً :
... مبروك يا مستر سومرفيل . لقد ربحت هذه الصفقة . والان
متى تريد ان تبدأ الدروس ؟ اوافقك الغد ؟
... في أية ساعة ؟
... الساعة الحادية عشرة
... هذه الساعة تناسبني جداً اذا كانت تناسب مسز كايبور
فقالت بعدم اكتراث :
... انها ساعة كآبة ساعة اخرى
وتركهما اشندن ليناقشا على سجيتهما النتيجة الرابعة التي

مخضبت عنها مناوراتها الدبلوماسية



وفي العادية عشرة من صباح اليوم التالي بالضبط سمع طرقا خفيفا على باب حجرتي . ففتح الباب وهو لا يخلو من توجس . لانه يجب ان يكون في غاية التيقظ في حديثه مع هذه السيدة الالمانية الذكية المتوترة الاعصاب وفي الوقت نفسه يجب ان تظهر عليه باستمرار دلائل الصراحة والبساطة

وكان وجه مسز كايبور مقطبا عندما دخلت مما يدل بوضوح على انها مسكرهه من وجود اية صلة بينها وبينه . ولكنها جلست وبدأت بغير مقدمات تساله عن معلوماته في الادب الالمانى . وكانت تصحح له اخطائه بدقة . وحين يستفسرها عن بعض المساعب التي يجدها في تركيب الجملة ، كانت تشرح له كل شيء بوضوح ودقة

وهذا يدل على انها اذا كانت تكره من صميم قلبها ان تكون بينها وبينه اية معاملة ، الا انها كانت عازمة على القيام بذلك العمل بكل امانة . وكان واضحا ايضا انها لا تملك الكفاءة للتعليم فحسب ، بل وتحب تلك المهنة ايضا . وبعمرور الدقائق انطلق لسانها وابدت مزيدا من الهمة والاهتمام ، حتى صارت بحاجة الى جهد كي لا تنسى انها بازاء انجليزى بهيم همجى

وكانت ملاحظة ذلك الصراع تتيح لاشندن شيئا من الرياضة المتعة . ولذلك كان صادقا عندما ساله كايبور بعد الفساد عن الدرس ، فاجابه بانه راض كل الرضا . وان مسز كايبور استاذا معتادة وشخصية جديرة بالاعتبار
وهنف كايبور متهللا :

— الم اقل لك هذا ؟ انها اعظم امرأة عرفتها !

وسمر اشندن ان كايبور وهو يقول هذا الكلام بطريقه الصاخبة الضاحكة كان صادقا مخلصا لأول مرة

وبعد يوم او يومين عرف اشندن ان مسز كايبور كانت تعطيه هذه الدروس لغرض واحد وهو تمكين زوجها كايبور من مزيد من القربى بسنه وبين اشندن . فقد حصرت نفسها بدقة في مسائل الادب والموسيقى والرسم . ولما حاول اشندن ان يخبرها وطرق موضوع

الحرب ، لم يكن منها الا أن أوقفته عند حده قائلة :

— اظن ان هذا موضوع يحسن بكلينا ان نتجنبه يا هر سومرفيل
واستمرت تعطيه الدروس بدراية تامة ، بحيث يظفر بمقابل نادل
للاجر الذى يؤديه ، ولكنها كانت تأتى كل يوم بنفس الوجه الكالنج
المقطب . ولم يفارقها هذا الكره الا تحت حماسة التيسدريس .
وجرب اشندن جميع اساليبه من تقرب وامتنان وتواضع وتعلق
وحياء ، ولكنها احرصت بعدائها وبرودها . انها من الطراز المنعصب
من البسر . ووطنيتها وطنية عدوانية ولكنها نزيهة . وسر كراهيتها
لانجلترا والانجليز انها ترى فى تلك الامبراطوية العقبة الاساسية
فى وجه السيادة الالمانية على العالم

ان مثلها الاعلى عالم المانى تكون فيه جميع الامم غير الالمانية خاضعة
لالمانيا ، كما كانت روما سيدة العالم القديم ، بحيث ينعم أهل الارض
كافة بمزايا العلم الالمانى والفن الالمانى والثقافة الالمانية

ولم تكن هذه السبذة بلهاء . ففقد قرأت كثيرا فى لفسات شسى
وكانت تستطيع ان تتكلم عن الكتب التى قرأتها كلاما ينم على ذوق
وحس . وكانت لديها معلومات عن الرسم الحديث والموسيقى
الحديثة بهرت اشندن

وأعجبه ان يسمها ذات مرة قبل الغداء تعزف مقطوعة صغيرة
لطيفة للموسيقى الفرنسى دى بوسى . وكانت تعزفها فى ازدياء لان
المؤلف فرنسى وموسيقاه خفيفة ، ولكن مع تقسدير على مفض
لرشاقتها ومرحها . ولما هناها اشندن على اجادة العزف هرت
كتفيها وقالت :

— موسيقى مضمحلة لامة مضمحلة

ثم بدأت يديها القويين تعزف المقطوعة الاولى لاحدى سمفويات
بيتهوفن . ثم لم يلبث ان كفت قائلة :

— ماذا تعرفون ايها الانجليز عن الموسيقى ؟

فابتسم اشندن وقال لكايبور :

— مارايك فى هذا ؟

— انا اعترف بهذه الحقيقة . فالقليل الذى اعرفه عن الموسيقى

تعلمته من زوجتي . ولبتك تسمعها وهي تعزف شيئا ممتازا ، فان
قلبك سيهتز حتما لرومة ذلك الجمال الصافي
فقالته الالمانية وقد لانت اساورها لاطراء زوجها قليلا :
- انتم معشر الانجليز لا تحسنون الرسم ولا النحت ولا
الموسيقى

فقال اشندن في ابتسام :
- ولكن نقرا منا يحسنون نظم الشعر
- هذا شيء اعترف به ، انتم شعراء . ولست ادري السر
والتفتت الي زوجها قائلة :
- هيا يا جراتلي الي قاعة الطعام فقد اعد الفداء
وتركا اشندن مفكرا



الفصل الرابع عشر

صداقة

واشندن بطبيعته شديد الإعجاب بالفضيلة ، ولكنه لا يشمر ولا يساء من الشر والرديلة . وكان الناس في بعض الأحيان يحسبونه انسانا بلا قلب ، لانه كان يهتم اهتماما ذهنيا بالآخرين من غير ان يتعلق قلبه بهم . وحتى القلة من الناس الذين تعلق بهم كانت عينه ترى في نراة وجلاء جانبي المزاي والنقائص فيهم . فعندما يحب انسانا لم يكن حبه له لانه عمى عن عيوبه ، بل لانه لا يبالي بتلك العيوب ، ويقبلها في تساهل وهو يهز كتفيه ، أو يقارنها بمزايه فتتطفى المزاي على العيوب . ولانه كان يزن اصحابه بميزان حصيف لم يخب امله في احد منهم ، ولذا لم يفقد صداقة احد . ولم يطالب يوما صديقا له بأكثر مما يستطيع

وبفضل هذه السليقة استطاع اشندن ان يرقب آل كايبور ويدرس الشخصيتين من غير تجن ولا تحيز . فبدأت له مسز كايبور غير معقدة التركيب ، وهي لهذا ايسر فهما من زوجها . كان واضحا جدا انها تكره اشندن ، مع ان ظروفها تحتم عليها ان تكون شديدة الهدب في معاملته . مما جعل عواطفها تغلبها على امرها في بعض الأحيان ، فتكون لهجتها في مخاطبته نابضة بالفظافة . ولاحظ ايضا من الاختلاج الخفيف الذي يعثرى شفيتها حين يربت زوجها ، بيده الغليظة على كنفها في حنان ، انها شديدة الارتباط بزوجها ، وان الحب الذي بينهما صادق عميق مؤثر

وجعل اشندن بدون الملاحظات التي تتجمع له في الايام القليلة الاولى الى ان تبث له ان مسز كايبور تحب زوجها لان طبعها اقوى من طبعه ولانها تشعر باعتماده عليها . كانت تحبه لاعجابه بها .

وكان من السهل ادراك ان هذه المرأة العاطلة من الجمال ، المحردة من روح الفكاهة والاناقة والجادبية ، لم تصادف في حياتها رجلا اعجب بها قبل ان تلتقى بكايبور ، ولذا صار اعجابه جوهريا لانوتتها . واصبحت تستسيخ مرحة وتكاته الساخبة كانه طفل كبير كثير الضجة . فهي اقرب في شعورها نحوه الى الامومة . وهي تحبه وترعاه وتغضى عن مواطن ضعفه ، التي لا شك في انها لم تكن خافية على فطنتها

واما من جهة الجاسوسية فان اشندن على الرغم من تساهله الشديد ازاء الضعف البشرى ، كان ينظر الى خيانة المرء لوطنه نظير لمن مالى نظرة قاسية . ولا شك ان زوجته كانت تعرف انه جاسوس . ولعل اتصال الالمان به في البداية كان عن طريقها . ولعله لم يكن ليقبل القيام بذلك العمل الشائن لولا انها دفعته اليه دفعا . وهي امرأة مستقيمة امينة تحب زوجها ، فاية وسيلة ملتوية ليجات اليها كي تقنع نفسها بشرعية اكرام زوجها على قبول مهمة معيبة وضيعة مثل هذه المهمة ؟ هذا سؤال لم يستطع اشندن ان يجده له جوابا على ضوء تصوره لتكوين مسز كايبور النفسى

اما جراتلى كايبور فله شأن آخر . اذ ليس فيه ما يسرعى الاعجاب . ولكن اشندن لم يكن يبحث عن موضوع للاعجاب . وكان في كايبور اشياء كثيرة غريبة وقلدة وغير متوقعة في ذلك المخوف السرقى . وكان اشندن يرقب باستمتاع اساليب كايبور في محاولة استدراجه الى حبائله . فبعد يومين اثنين من الدرس الاول اقبل كايبور بعد العشاء وقد صعدت زوجته الى حجرها فالقى بعمسه في مقعد بجوار اشندن . وجاء فريتزى فوضع راسه فوق ركبته . فقال كايبور :

— انه مخلوف بلا عقل . ولكن قلبه من ذهب . انظر الى هاتين العنسن الحمراءوين وخسرنى ، هل رايت في حياتك نظيرا لهما في الغاء ؟ وما اتبجح وجهه . ولكن ما اسند سحره !

— اله عندك مدفة طويلة ؟

— من قبيل اعلان الحرب . وبهذه المناسبة مارايك في اخبار اليوم ؟

اننى طبعا لا اتناقش فى هذه الامور مع زوجتى . فلا تستطيع ان تتصور مدى سرورى اذ اجد مواطنا لى فى لوسرن افتح له قلبى
وقدم الى اشندن سيجارا سويسريا رخيصا وقبله اشسندن
على سبيل التضحية الكريمة . واستطرد كايبور يقول :
... ان الالمان طبعا ليست امامهم اية فرصة للنصر . وكنت موقنا
من هزيمتهم منذ دخلنا المعركة . والحقيقة اننى حزنت حزن العمر
كله عندما ادركت ان جنسية زوجتى تقف بينى وبين الاشتراك فى
اى عمل من اعمال الحرب . وقد حاولت ان اتطوع منذ اعلنت
الحرب ولكنهم لم يقبلوا تطوعى بسبب سننى . ولست ابالى ان
اخبرك انه فى حالة استمرار الحرب الى امد طويل فلا بد ان اصنع
شيئا . ولا شك ان معرفتى بلغات كثيرة يمكن ان تجعلنى اداة
نافعة فى الرقابة مثلا . وهذا فيما اظن هو الديوان الذى تعمل فيه .
اليس كذلك ؟

وكان هذا هو الموضوع الذى يريد الوصول اليه . ولما
كان اشندن يتوقع منه تلك الخطوة ، فقد رد عليه بالاجوبة التى
اعدها من قبل . وادنى كايبور مقعده قليلا من اشندن وقال بصوت
خفيض :

... انك طبعا لن تخبرنى باى شىء من الاسرار التى لا ينبغى
البوح بها . ولكن هؤلاء السويسريين فى لوسرن ضالعون مع الالمان
بصورة واضحة ، ولا نريد ان نتيح لاحد منهم فرصة استراق
السمع
وشرع يخبر اشندن بعدة اشياء ومعلومات لها صفة سرية تم
قال :

... هذه امور ما كنت لآخبر بها احدا سواك . ولكن لى اصدقاء
فى مناصب ذات نفوذ ولهم بى ثقة . .
وتظاهر اشندن بالثقة ايضا واقضى اليه بعدة اشياء لها صفة
السرية . بحيث افترقا وكل منهما مستريح لما حصل عليه من ثقة
الاخر . وايقن اشندن ان الة كايبور الكاتبة دائبة على العمل فى
اليوم التالى ، وان رئيس المخابرات الالمانية فى برن سيتلقى عن
قريب تقريرا ممتعا جدا من كايبور

و ذات مساء بعد العشاء صعد أشندن متجها الى حجرته فمر
بباب حمام مفتوح ورأى يداخلة آل كايبور . وصاح كايبور بلهجته
الودود

— ادخل . اننا نفسل فرينزى

وكان الكلب يلمخ نفسه دائما بالاقدار مع ان آل كايبور يعتران
جدا بنظافته . ودخل أشندن فوجدهما منهما في عملية
الاستحمام . وقال كايبور وهو يدعك بالصابون فروة فرينزى :
— اننا مضطرون للقيام بهذه العملية لئلا . لأن آل فيزجيرالد
يستخدمون هذا الحمام ويغضبهم جدا ان يستخدمه كلنا . ولذا
تنظر الى ان يناموا . هيسا يا فرينزى اظهر حسن تربيتك وانا
أصين لك عينيك

واخذ الكلب يهز ذيله اظهرا لتهديه ودماثة . وكايبور لا يكف
عن التنظيف وهو بشرتر ملاطفا كلبه كأنما يتحایل عليه تحایل الاب
الحنون على طفله الصغير . ومسز كايبور تصفى وتبتسم ابتسامة
يسيرة من غير ان تفارق مسحة الجذ ملامح وجهها :

— والآن اذهب الى امك كي تتولى تخفيف جسمك !

فجلست مسز كايبور وتلقته بين ساقيا القويتين وجعلت تخففه
جيذا الى ان طفر العرق من جبينها . . . وتأثر أشندن جيذا بهذا
المنظر العائلى الهادى حتى انه كان يرتجف قليلا ، وهو يستأنف
طريقه الى حجرته

وفي يوم من أيام الاحد اخبره كايبور انه سيذهب مع زوجته في
رحلة بالجبال ، وسيتناولان الغداء في مطعم جبلى صغير ، واقترح
على أشندن ان يصحبهما وكل منهم على نفقته الخاصة طبعاً . وكان
قد انقضى على حضوره الى لوسرن ثلاثة أسابيع ، فقدر أشندن
انها مدة كافية للنقاهة بحيث يكون معقولا ان يخرج في مثل تلك
النزهة . وخرج الثلاثة معا . وقد قرر أشندن ان يكون على حذر
فليس من المستبعد ان يكون كايبور اكتشف صنعته الحقيقية ، فمن
الافضل ان يكون على حذر ولا يقترب من حافة هوة في الجبيل ،
لأن مسز كايبور في هذه الحالة لن تتردد في دفعه بسديها القويتين
خدمة لوطنها . وفي الوقت نفسه لم يسمح لحذره ان يفسد عليه

استمتعنا بالرحلة والمناظر والجو البديع في ذلك النهار

ولم يكف كايبور عن الكلام ، وروى حكايات كثيرة مضحكة ، وكان يضحك من نفسه لأن العرق يتصبب من وجهه الأحمر البدين ، وأدهش أشندن بمعلوماته المستفيضة عن الأزهار الجبلية . وكان ينتفى منها نماذج بديعة ، ويظهر في عينيه الإعجاب والحنسوع . فقالت زوجته :

— ان علم النبات هو هواية زوجي . واهيانا اضحك منه ومن تعلقه بالأزهار . وفي كثير من الاحيان عندما تكون في ضائقة لا تسمح لنا بدفع مطلوبات الجزائر ، اراه ينفق كل مافي جيبه ليأتيني بباقة من الورد

وكان أشندن موقنا من صدق تعلق كايبور بالأزهار ، وعمق حبه لها ولزوجته . وذلك يدل على رقة في احساسه لم يعجب أشندن من وجودها لدى رجل دفع بالشباب الاسباني الى الموت . فالقلب الانساني ينسع للتقائض

وعندما وصل الثلاثة الى المطعم الجبلي المطل على البحيرة ، كان ممتعا حقا ان يرى كايبور يصب في حلقه بتلذذ عظيم زجاجة مثلوجة من البيرة . وما كان يوسعك الا تتجاوب مع رجل يحب اللذات البسيطة في الحياة بهذا السرور الواضح

وتناول الثلاثة الطعام في الشرفة الجميلة وقد سحرهم المنظر الخلاب ، حتى ان الدموع طفرت الى عيني مسز كايبور ، فقالت : — ما أشد خجلي من نفسي ! فبالرغم من علمي ان مديحة عالية تدور من حولنا ، لا أستطيع ان اشعر في أعماق قلبي في هذه اللحظة الا بالسعادة والامتنان

فتناول كايبور يدها وضغط عليها واخذ يناديها بالفاظ التدليل باللغة الالمانية ، فتأثر أشندن تأثرا عظيما وتركهما ليخطوا الى نفسيهما ، وذهب يتجول في الحديقة . ثم جلس فوق مقعد حجري هناك ، واخذ يقلب في ذهنه مأساة هذا الانسان الغريب الاطوار الذي تجتمع فيه البساطة والرقة والخسة والمرح وخفة الدم . وحاول ان يحلل اللغز الذي دفع به الى سلوك هذه الطريق الشائكة . ولم يجد حلا يرضى عقله . وتمنى لو ان الناس في هذه

الدنيا كان كل منهم اما ابيض واما اسود بغير اختلاط او تنوع
هل كايبور انسان طيب احب الشر ام هو انسان سرير احب
الحير ؟ وكيف امكن ان توجد فيه جنبيا الى جنب ، وى اتساق
تام . كل هذه الصفات المتضادة ؟ انه أخائن لا يؤنبه ضميره على
نيانه بل يجد فيها لذة

انه الان موثق ان كايبور يجد سعادة وزهوا في خيانه وطنه ،
ولذا فمن العبث ان يحاول الوصول معه الى اتفاق لشراء خدماته
ليلاده . وتأثير زوجته عليه شديد جدا ، وهو في اعماق نفسه
معتقد ان النصر مفعود للامان في النهاية ، وهو يريد ان يكون مع
الفريق الظافر

لا حيلة في الامر اذن ، ويجب الايقاع بهذه الشخصية الفريدة
ولكنه حتى الان لا يعرف كيف سيكون سبيله الى ذلك
ونبهه صوت آل كايبور مقبلا نحوه :

— اين ذهبت ؟ انت معدور في الاختلاء بنفسك امام هذا الجمال
الساحر . وهذا طبيعا تغيير كبير تشعر به بعد معيضة الحرب
المرهقة للاعصاب في انجلترا
— الفرق كبير جدا

— وبهذه المناسبة هل وجدت صعوبة فى مبارحة البلاد ؟
— لم أجد ادنى صعوبة

— قبل لى انهم يدققون كثيرا على الحدود فى هذه الايام
— لم اجد اية صعوبة ولا اظنهم يدققون كثيرا مسع الانجليز .
حتى لقد خبل الى ان فحص جواز السفر كان سوريا
وتبادل الزوجان نظرة خاطفة حار اشندن فى فهم مغازها .
ولعل كايبور يفكر فى احتمال العودة الى انجلترا لغرض ما

واقترحت مسز كايبور ان يعودا الى لوسرن . . .
وبعد يومين من هذه النزهة ايقن اشندن ان فى الجو شيئا . .
ففى غضون درس الصباح قالت له مسز كايبور :

— سافر زوجى الى جنيف اليوم ليعمل بخصه
— وهل سيمكث هناك طويلا ؟
— كلا . يومين لا أكثر

وأحسن احساسا غامضا انها تكذب وخطسر له ان كايبور
أستدعى الى برن لمقابلة رئيس المخابرات الالمانية هناك . ولذلك
انتهر اشندن الفرصة وقال للخادمة أثناء الغداء :
- عندك اليوم عمل اقل يا آنسة . فقد سمعت ان الهر كايبور
سافر الى برن
- نعم ، ولكنه سيعود غدا

ولم يكن هذا انبثا كافيا لظنونه ، ولكنه علامة على ان رايه قد
يكون صحيحا . وكان يعرف في لوسرن سويسريا على استعداد في
أوقات الضرورة للقيام بما يكلفه به من مهام ، فطلب منه اشندن
ان يحمل خطابا الى برن . وكان الخطاب يوصى بالبحث عن كايبور
هناك وتعب حر كاته

وفي اليوم التالي ظهر كايبور مع زوجته على مائدة العشاء .
ولكنه اكتفى بأن هز رأسه لأشندن . وبعد الطعام صعد الزوجان
توا الى حجرتهم والاضطراب باد عليهما ، حتى ان كايبور كان
يسير على غير عادته مقوس الكتفين لا ينظر يمنا ولا يسرة

وفي اليوم التالي تلقى اشندن الرد على خطابه من برن مع
الرسول الخاص بما يؤيد ظنونه . فقد كان كايبور هناك وقابل
رئيس المخابرات الالمانية ، فأيقن اشندن ان المقابلة كانت صدفة
لكايبور . وان الالمان سئموا دفع مرتب كايبور وهو قابع في
لوسرن لا يؤدي أى عمل . وغالبا يكون قد استحثه على العودة الى
انجلترا لخدمة الالمان هناك

هذا مجرد تخمين طبعيا . ولكن صناعة الجاسوسية تعتمد على
التخمين والفتنة الى حد كبير . وكان اشندن يعلم من جوستاف
ان الالمان يريدون ارسال شخص ما الى انجلترا للاشراف على
جواسيسهم هناك . فان صح ذلك التخمين فقد سحت الفرصة
لامداد الكمين



الفضح

وفي اليوم التالي عندما حضرت مسز كايبور لتعطيه درسا كانت واجمة وغير مستقرة ويبدو عليها الاعياء . وادرك اشندن ان آل كايبور قضايا معظم الليل يتكلمان . وتمنى لو عرف ما تبادلاه من حديث ، وهل استحثته على السفر أم حاولت أن تثنيه عنه وجعل اشندن يرقبهما اثناء الفداء ، فلاحظ انهما لم يتبادلا كلمة واحدة على خلاف العادة ، ثم غادرا المائدة مبكرين . ولكن عندما انصرف اشندن رأى كايبور جالسا في اليهو بمفرده فبادر اشندن قائلا :

— اهلا بك . كيف حالك ؟ لقد كنت في جنيف

— هكذا قيل لى

— تعال تناول قهوتك معى فزوجتى المسكينة مصابة بالصداع . وقد قلت لها ان من الخير ان ترقد قليلا . والمسألة ان المسكينة منزوعة ، لانى افكر فى السفر الى انجلترا

فضبط اشندن اعصابه ولم يظهر عليه اى رد فعل وقال :

— وهل ستطول غيبتك هناك ؟ سنفتقدك

— الحقيقة انى سئمت هذا التعطل . ويبدو ان الحرب ستطول كثيرا ، وليس فى استطاعتى ان ابقى هنا الى الابد ، فضلا عن انى لا املك الموارد الكافية للاقامة المستديمة هنا . فيجب ان اكسب قوتى . ومهما كانت زوجتى المانية ، فلا بد ان اقوم بنصيبى من الواجب الوطنى . وزوجتى متمسكة بوجهة نظرها الالمانية ولا اكتمك انها مستاءة . وانت تعرف خصال النساء فى هذه الامور وكان واضحا فى نظرات كايبور انه خائف من السفر الى انجلترا

ويريد البقاء في سويسرا . ولكن البقاء معناه ضياع المرتب الشهري، وهو بطبيعة الحال كان يريد من زوجته أن تحرضه على البقاء . ولكنه لم يجد لديها ما ينتظر . ولعله لم يستطع أن يظهر لها ما يكنه من الفزع

وسأله اشندن :

— وهل ستأخذ زوجتك معك ؟

— كلا . انها ستبقى هنا

ومعنى ذلك ان مسز كايبور ستتلقى خطاباته وتحولها الى رئيس المخابرات في برن ليستخلص ما فيها من معلومات شفرية واستطرد كايبور :

— لقد طال بعدي عن انجلترا ولست ادري كيف احصل على عمل يساعد في المجهود الحربي الان . فماذا كنت تصنع لو كنت في مكاني ؟

— لا ادري . ما هو نوع العمل الذي تفكر فيه ؟

— اظنني استطيع ان اقوم بمثل العمل الذي تمارسه ، فليتك تعطيني خطاب توصية الى احد معارفك في ادارة الرقابة

ولا شك انه سيكون كسبا عظيما للألمان ان يكون لهم جاسوس في ادارة الرقابة . وادرك اشندن ان كايبور اخبر الرئيس في برن ان موظفا في الرقابة البريطانية يستجم في لوسرن فرسم له تلك الخطة

— ان رئيس الادارة يعزني كثيرا واستطيع ان اعطيك جواب توصية ان شئت

— اكون شاكرا جدا

— ولكني بطبيعة الحال ساذكر له جميع الحقائق المتعلقة بك . وساقول ايضا اني التقيت بك هنا ولم اعرفك الا منذ اسبوعين

— طبعا طبعا . ولا ادري حتى الان هل استطيع الحصول على تأشيرة بالدخول ام لا

— لا اظنك ستجد ادنى صعوبة

ووقف كايبور فجأة وقال :

— يجب ان اصعد لارى زوجتي واطمئن عليها . متى ستكتب

لى الخطاب ؟

— فى اى وقت نساء . هل ستسافر فورا ؟

— بأسرع مايمكن

وتركه كايبور . وبقى اشندن ربع ساعة تم اسرع الى حجرتة
وحرر عدة خطابات منها تقرير الى الكولونيل . وتعليمات الى السفارة
فى برن كى تعطى كايبور تأشيرة الدخول الى انجلترا فور طلبها .
وكتب أيضا خطاب التوصية الذى طلبه كايبور . . .

وفى ساعة العشاء سلم اشندن الى كايبور خطاب التوصية

وبعد يومين غادر كايبور لوسرن وبقى اشندن ، واستمر يتلقى
دروسه اليومية على يد مسز كايبور ، وقد اصبح لسانه طلقا فى
اللغة الالمانية وكثرت احاديثهما عن جينه وعن الفن والحياة
والرحلات . وكان فريتنزى يقبع بجوار متعمدها فى هدوء . وتجذب
اذنيه وتقول :

— ان المسكين يفتقد سيده . الحقيقة انه لا يحب غره ، ويتقبلنى

اكراما لخاطره فقط

وبعد انتهاء الدرس فى كل صباح كان اشندن يذهب الى مكتب
شركة كوك ليسأل عن خطابات له فقد جعل عنوانه هناك . وكانت
التعليمات الصادرة اليه الا يغادر لوسرن الا بعد صدور اوامسر
جديدة . فلم يكن امامه سوى الانتظار

وبعد ايام قليلة تلقى خطابا من القنصلية فى جنيف يفيسد ان
كايبور طلب تأشيرة الدخول وحصل عليها ورحل عن طسريق
فرنسا . ولما قرا اشندن هذه الاتباء ذهب للترمة على الاقدام على
شاطيء البحيرة . وعند عودته رأى مسز كايبور خاسارجة من
مكتب كوك . فادرك انها جعلت عنوان مراسلاتها هناك أيضا .
وحياها قائلا :

— هل جاءتك انباء من هر كايبور ؟

— لم تصلنى خطابات منه بعد

وسار بجانبها وكانت قلقة بعض الشيء . ولكن فى اليوم التالي
لاحظ انها كانت غير مستقرة أثناء الدرس . وكان البريد يصل
عند الظهر . فاستأذنت قبل انتهاء الدرس بخمس دقائق . وكان

اشندن يعلم انها لن تتلقى من كايبور اية خطابات
وبعد قليل ذهب اشندن الى مكتب كوك فوجدها واقفة هناك
ممتعة الوجه . ولما راته صاحت :
- لقد وعد زوجي ان يرسل خطابا من باريس . ولذا انا واقفة
ان هناك رسالة لي في البريد . ولكن هؤلاء الاغبياء يقولون انه لا يوجد
شيء . يا لهم من مهملين ! هذه فضيحة !
ولم يدر اشندن ماذا يقول وسأل عن خطاباته . وسالت مسز
كايبور الموظف عن موعد البريد فقيل لها انه الخامسة بعد الظهر
وفي اليوم التالي جاءت تعتذر اليه عن عدم استطاعتها تلقيه
الدرس . وكان واضحا ان جفوتها لم تغمض طول الليل . وفي
المساء وصلتته مذكرة منها بانها مضطرة لايقاف الدروس
ولاحظ في الوقت نفسه انها انقطعت عن تناول طعامها في حجرة
المائدة . وصارت تقضي اليوم كله في حجرتها ، ولا تخرج الا للذهاب
الى مكتب كوك . وشعر اشندن بالاسف الشديد لها وهي تقضي
الساعات تلو الساعات في قلق وفزع
واخيرا اعطاه موظف كوك ذات صباح خطابا من الكولونيل على
هيئة رسالة من الرسائل التجارية العادية :
« سيدى العزيز . ان البضاعة التي ارسلتموها من لوسرن
وصلت في موعدها المحدد . ونشكر لكم دقة تنفيذكم لتعليماتنا »
وايقن اشندن ان كايبور لقي مصيره فسرت في جسده رعسة
وهو يشتري من مكتب كوك تذكرة سفر الى جنيف
وفي هذه اللحظة دخلت مسز كايبور فهالته الحلقة السوداء حول
عينها وشحوب الموت الذي يعلو سحنتها . وترنحت في مشيتها الى
ان وقفت امام الموظف وسالته عن بريدها . فهز الموظف راسه
سلبا . فتوسلت اليه ان يعيد الفحص فامتثل اشفاقا عليها
وعندئذ حصل شيء رهيب : فقد القى فريتزي راسه الى الورا
ثم عوى عواء حادا متصلا يمزق الاعصاب . فنظرت اليه مسز
كايبور في فزع وقد برزت عيناها من محجريهما . واصبح ماكانت
تخشاه يقينا مقطوعا به لا سبيل الى الماراة فيه . . .

« انتهت »

المصطلحات العالمية للحكيم

استنرد ديماس	الفرمان الثلاثة "جزين"
مارغريت ميتشل	الكوزت دي مونت كريستو
چون شتاينبك	ذهب مع الريح "جزين"
سومرست موم	رجال ونساء .. وحب
مارسيل موريت	ليلة غرام
جورج سيمنون	كنت هامبوراً
بيرك باك	غادة القامليا
سير والتر سكوت	جريمة في الريفييرا
شارل ديكنز	الأرض الطيبة
فيكتور هيغو	عذارى العبد
يوهان جوته	ايقانهر "أوالفارس الأور"
ارنست همنغواي	رافيد كوبر فيلسد
اجاتا كريستي	أهدب نوردام
	الام قرتد
	العجوز والبحر
	سوف تشرق الشمس
	الكأس الأخيرة
	عدالة السماء
	القاتل الخفي
	الزهبان الفاخر
	غادة طيبة
جيمس هيلتون	عذراء وثلاثة رجال

To: www.al-mostafa.com